الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر وفى نصف

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ فى مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

العدد ٣٥ — ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٧ — أول يوليه سنة ١٩٣٨ — السنة الثانية

فهرس العدد

صفحة			
٥٧٠	ثلاثون ألف دينار	من التاريخ الاسلامى	بقلم الأستاذ على الطنطاوى .. ...
٥٧٨	عواد كريمون	للشاعر الفرنسى فرنسوا كوپيه ...	بقلم الأستاذ محمد كامل حجاج ...
٥٨١	أحزان الطفولة	أقصوصة مصرية	بقلم الأديب نجيب محفوظ .. ...
٥٨٥	الدخيل	للكاتب العبقرى موريس ماترلنك .	بقلم الأستاذ محمد أمين ... ...
٥٩٥	الفتاة الفروية	للقصصى الروسى بوشكين	بقلم السيد عز الدين عزوزى . ...
٦٠٩	حاجى بابا فى انكلترا	تاليف جيمز موير	بقلم الأستاذ عبداللطيف النشار ...

من التاريخ الإسلامي

ثلاثون ألف دينار!

للأستاذ علي الطنطاوي

سرى في المدينة أن قد سال العقيق، فانتقلت المدينة بمساكنها وساكنيها، وزهوها وكبريائها، ولهوها وغنائها، وترفها ونعمائها، حتى استقرت في العقيق. ولقد كانت المدينة على عهد الخلفاء من بني أمية قلب الدولة الذي يخفق بالحب والشعر، كما كانت الشام رأسها الذي يفكر في السياسة والملك، والعراق يدها التي تلوّح بعلم (المعارضة)، وتهزّ سيف الثورة. وذلك أن فتيان قريش وشباب الأنصار ثقل عليهم المال الذي حمله آباؤهم الفاتحون الذين ورثوا كنوز كسرى وقيصر، ما حوى القصر الأبيض في المدائن، وما اشتملت عليه قصور الشام الباذخ، وكثر في أيديهم حتى ما يدرون فيم ينفقونه ... وكان من سياسة دمشق أن تقصيهم عن الولايات والأعمال، فاتسع عليهم الوقت حتى ما يعلمون بم يملؤونه ... فانصرفوا إلى تزجية الأيام، وانتهاب اللذائذ فجعلوا الحجاز دارة اللهو والترف ومثابة الشعر والغناء، وناهيك بالشباب والفراغ والجدة إذا اجتمعت على قوم من الأقوام؟!

وكانت ليلة مشرقة غسل البدر بنوره ظلماءها وأحالها مثل الغادة الناعسة بغلالتها البيضاء، ثم ذهب يغتسل في العقيق، فطفا ضياؤه على وجهه، يعانق قطرانه ويراقص أمواجه الصغيرة، وكان منظراً عجباً، تحسب معه أن الوادي لا يجري بالماء، وإنما يجري فضة سائلة، ونوراً مذاباً ... وكان الناس منثورين في كل مكان، في القصور الشمّ التي يفيض بها الوادي، وتمتلئ بها التلال والصخور، وعلى سفوح الربا، وذُرا الهضاب، وجوانب الحرّة وفرش الرمال، حلقاً يستمعون إلى مغنٍّ أو شاعر، أو يديرون بينهم أطايب الحديث، أو يأكلون ويشربون، أو يلهون ويلعبون، ولم يكن فيهم إلا من ملأ الفرح قلبه وغمرت السعادة فؤاده. أما النساء فقد اعتزلن جانباً، يأخذن حظهن من ليالي العقيق، وقد بدوْن في شعاع القمر بثيابهن الملونة الزاهية، كالروض الزاهر الفاتن بكل ساحر أخاذ من الورد والياسمين والنرجس والبنفسج والزهر من من كل شكل ولون ... أما عطر الروض، فكان يفوح من أعطافهن وشعورهن وثيابهن الهفهافة..

ذلك هو العقيق!

كم شهد من أعراس الحياة ومباهجها! كم جال في أرجائه عمر بن أبي ربيعة ينضح حواشيه بشعره المطر الخالد! كم غنى فيه معبد وابن سريج ومالك بن أبي السمح وعزة الميلاء، فاستفاضت ألحانهم على صفحة الماء، وشطئان الأفق، وطفت على وجه النسيم فانتشت منها الطبيعة، وسكرت الجبال والربا، وسكر منها شعاع القمر فضلّ طريقه مترنحاً في مسالك الجو... كم رأى العقيق من العلماء الزاهدين كعروة ومالك، والسمحاء الأكرمين كابن جعفر وسعيد بن العاص، والمجان والمخنثين كأشعب وطويس والدلال! كم كتب في العقيق من تاريخنا الأدبي والفني! كم ألهم شعراءنا رائعات الشعر ومعجزات القصيد!

* * *

إذا جلت تلك الليلة أنحاء العقيق، رأيت على

طرف الحرة مما يلي بئر عروة وقصره ، حيث تنحدر الرمال الطرية حتى تبلغ الماء وتدلى فيه أقدامها ... رأيت سرباً من الظباء الفاتنات يتدافعن ويتراششن بالماء ، وهن يتصايحن ويضحكن فرحات عابثات ، حتى إذا نمن جلسن على الرمل يتأملن صفحة الماء — وللماء الجارى فى الحجاز سحر ليس للفرات مثله ولا للنيل — وينظرن مأخوذات بجمال هذه الليلة وفتونها ، وكنّ يتلفتن أثناء الحديث كأنهن يرقبن من يطلع عليهن من الثنية ، فلما طال الانتظار قالت واحدة منهن :

— لقد طال غياب سهيلة ، فياليت شعرى ماذا عاقها عنا هذه الليالى المقمرات ؟

فردت عليها فتاة سمراء قد تلفعت بثوب من الحرير الأحمر :

— ألا تدرين ماذا عاقها ؟ لقد شغلها هوى فرّوخ يا حبيبتى ، لقد خسرنا سهيلة إلى الأبد !

— ولم يا أمينة ؟ أهى أول فتاة تزوجت ؟ كلنا عرف الزواج ، فما قصرنا فى حق الرجل ، ولا أهملنا حق أنفسنا

فأجابت أمينة ضاحكة :

— ولكن ما كل زوج فرّوخ ... أرأيت إلى جماله وشبابه ؟ إن له فوق الجمال والشباب ثلاثين ألف دينار ، أفليس من حق سهيلة أن تنسى معه العقيق ولياليه المقمرات ؟

— إن تنس العقيق ، فليس لها أن تنسى صويحبات صباها

— لو كنت مكانها لنسيت أمك وأباك . إن للحب سكرة ، وللمال مثلها ، فأنى لسهيلة أن تصحو من سكرتين ؟

فقالت فتاة من طرف المجلس قد آلمها غياب سهيلة :

— لتكن قد وجدت كنزاً ، أفيطير هذا الكنز من يدها إذا هى فارقت منزلها ليلة ؟ لم يبق فى المدينة أحد إلا أم العقيق هذه الليلة ، أفتبقى سهيلة فى عزلتها الموحشة ، وهى الفتاة اللعوب ؟ لا . لا . إني لا أستطيع أن أفهم هذا .

قالت أمينة :

— إنك لا تستطيعين أن تفهمى ، مسكينة أنت يا رفيدة .. تقولين إنها في عزلة ؟ إنها فى جنة الحب يا صديقتى ، إن الدنيا على سعتها أضيق من هذا العشّ الذى تعيش فيه مع من تحبّ ...

* * *

وكان الفتيات في غمرة الحديث حينما مرّ بهن فارس يحمل لأمّته وسلاحه ، قد أرخى عمته وتلثم فلم يعرفن من هو وإنما نظرن إليه وهو يخترق جماعات الناس حتى جاوز الجماء وغاب وسط النخيل فلم يحفلنه ولم يأبهن له ... وكان ذلك فروخ زوج سهيلة ...

وكان فروخ قد عزف عن اللهو ، ورغب عن المتع ، فتلفت إلى وجهة أخرى من وجهات الحياة فى العصر الأموى ، إلى حياة الجد ، حياة الجهاد فى سبيل الله . وكان جيش المسلمين يسيح فى الأرض يغمرها من كل جانب ، كأنه البحر ، لولا أنه بحر يمتد أبداً لا يعرف الجزر ولا يدريه ، وكان قد بلغ أواسط آسيا وأواثل أوربا ، ولا يزال يمضى فى وجهه لا يقف حتى يطوّق هذه الكرة ، ويرفع عليها علم الحق والهدى ، ويوحدها حتى تمشى كلها إلى الفضيلة والمجد والخير ، صفاً واحداً ترفرف فوقه راية القرآن ... فجفا فروخ منزله ، وترك زوجه الحسناء تتقلب وحيدة على فراش المرس الذى لم تجف أزهاره ، وأودعها ماله كله ثلاثين ألف دينار تحفظها له إلى أن يعود من جهاده ، وقد قضى حتى

الله عليه فيستأنف الحياة معها رغيدة سعيدة. لم يدر فروخ أن جهاده فى حفظ زوجه وعصمتها وإنشاء أسرة صالحة ، خير له من أن يدعها وحيدة ، وأن يهجرها بعد أن أذاقها من كأس الحب الرشفة الأولى ...

* * *

ومرت الأيام ، ولبثت ليالى العقيق على أنسها وطربها ، ولكن سهيلة التى كانت تملأ الوادى أنساً وطرباً ، وتشيع فيه السرور والبهجة ، قد اختفت من سمائها كما تختفى النجوم فى الليلة الماطرة . أما رفيقاتها فلقد حرصن على أن يخففن من لوعتها ، وينسينها آلامها ، وسقن عليها أمينة رفيقة صباها وصاحبة سرّها ، وأحب الفتيات إلى قلبها ، فكانت تعرض عنها ، ولا تنظر إليها ، وكن يسألن أمينة عنها كل ليلة ، فتقص عليهنّ ما رأت منها :

— لقد جزت بها اليوم ، فاذا هى يا أسفى عليها قد تبدلت حتى كأنها لم تكن يوماً من الأيام سهيلة التى نعرفها. وجدتها قابعة فى زاوية المنزل تفكر هادئة وإن فى قلبها لناراً ما يقر قرارها ، تذيب الحشى ، وتأكل القلب ؛ فكلمتها فنظرت إلى بعينين ساهمتين كأنهما لا تبصران شيئاً ، فحاولت أن أعيدها إلىّ فسردت عليها أجمل ذكريات صباها . حدثتها عن ليالى العقيق ، وأطرفتها بنوادر أشعب ، وقصصت عليها أقاصيص الشاعر وعبثنا به ، بل لقد تلوت عليها أجمل أشعاره فلم تستمع . فحدثتها عن فروخ فرأيت جسمها يهتز ولونها يشحب شحوباً هائلا ، وألفيتها تحب حديثه لأنه رجْع أحلامها ، وصدى أفكارها ، ولكنها تفزع من حديثه لأنه يذكرها بآلامها . لقد حدثتها عنه ... فقطعت علىّ حديثي وقالت بلهجة حسبتها تجمع كل ما فى الدنيا من آلام وأوجاع : كلا ... إنه لن يعود ! ثم قامت عنى

ولو أن امرأة أخرى كانت فى مكانها لفسقت وانساقت فى طريق الفحشاء ، ولكن سهيلة فى دينها وتقواها وشرفها أمنع من أن يستهويها الشيطان ، وما أحسب إلا أنها ستجن إلا أن يتداركها الله برحمة منه

فينطلقن يفكرن فى سهيلة ، كيف يسعدنها وينتشلنها من قرارة آلامها ، فلا يجدن إلى ذلك من سبيل ...

* * *

وكانت سهيلة قد علقت من زوجها وهى لا تدرى ، فلم تكن إلا شهور حتى بدا عليها الحمل واضحاً ، فزادها ألماً على ألم ، فأمعنت في الفرار من الناس ، والبعد عن صاحباتها ، فضاعف الانفراد هواجسها وشجونها فكانت تتلفت أبداً إلى الشرق البعيد ، علّ نسمة من زوجها الحبيب تنعش فؤادها ؛ وتسأل الغادين والرائحين عن فروخ (أبى عبد الرحمن) فلا تجد علماً عن أبى عبد الرحمن . فتناجى البدر وتسأله عنه علّه يراه كما تراه هى وتحمل الرياح سلامها ، وتسائل الشمس إذا أشرقت لعل عندها من أخباره علماً . لا تفعل ذلك كما يفعله الشعراء ، فالشعراء يناجون البدر ويسائلون الرياح ، ليأتوك بالطريف العجيب من المعانى ، ثم ينامون آمنين مطمئنين ، ويهجعون ملء عيونهم ، ولكن سهيلة لم يكن يطيب لها منام ، ولا تقبل على طعام ، وإنما كانت حياتها كلها فى هذا الماضى القصير الذى نعمت به حيناً ثم خسرته وهي أشد ما تكون حباً له وشوقاً إليه. وطغى عليها الفكر حتى كادت تجن حقاً . فلم يجد من يعنى بها من صديقاتها ، إلا وسيلة واحدة إلى نجاتها : هى أن يستعن عليها بأحد الأئمة من

أصحاب رسول الله أو التابعين لهم باحسان ، يهديها ويرشدها ويداوى أمراض قلبها . وليس يغلب الحب إلا الدين ، ولا يجد الحب راحة نفسه وأنس قلبه إلا فى اللجوء إلى الله ، عن نية صادقة ، وإيمان متين . ولقد وجدت سهيلة راحتها فى اللجوء إلى الله فكانت تقضى أكثر نهارها فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى البقعة التى أذن الله أن تنقل من رياض الجنة ، فتستقر على الأرض بين محرابه ومنبره وألا يرى أزهارها ، ويشم عبقها ويذوق نعيمها إلا من صفا قلبه من العلل ، وتنزهت بصيرته عن العمى وأنشأ له التقى جناحين يطير بهما فى هذه الروضة من رياض الجنة ..

* * *

ومرت الأيام ... وغدا ربيعة طفلاً يدرج ، فصرفت سهيلة إلى تربيته همها ، ورضيت به نصيباً من الحياة . وكانت تحدثه عن أبيه ، وتصفه له كما كانت تراه بعين الحب ، وترقب عودته دائماً فلا تسمع بركب قدم من الشرق إلا تمنت أن تجده فيهم ، وتخيلت أى مفاجأة ، وأى دهشة ، وتصورت لقاءه إياها ، وبالغت فى التصور فرأت نفسها بين ذراعيه تقبله وتشم ريحه ، ثم تقصيه عنها بدلال ، وتعاتبه عتاباً موجعاً . ثم تقدم إليه ابنه ... ولكن الركب يصل ولا تسمع عن فروخ خبراً من الأخبار . وكبر الصبى وضاق ما كان بيدها من المال ، فكانت تصبر وترتقب لا تمد يدها إلى الكنز الذى ائتمنها عليه ، حتى لم يبق معها شىء ، فكانت تصبر هى وابنها على الضيق ، وتبيت على الطوى ، وتسلى ابنها وتحدثه عن أبيه ...

— غدا يعود أبوك ومعه المال الوفير ، فنعيش فى رغد وهناء ، ونستمتع بما أحل الله من الطيبات

— ومتى يعود أبى يا أماه ؟

عما قريب . إنه سيأتى مع الركب

وتعود إلى إنتظار الركب ، وتخيل اللقاء !

وفى ذات صباح ذهبت تسأل القادمين من خراسان ، وتصف لهم زوجها . فدنا منها رجل من القافلة وخبرها أنه شاهده بعينه قتيلا فى معركة من المعارك ...

فرجعت محطمة يائسة ، ولجأت إلى الله ، فأراحها الله باليأس ، واليأس إحدى الراحتين ، فقنعت بابنها ، ونذرت نفسها ومالها لتربيته وتنشئته على العلم والتقوى ، ووضعت المال بين يديه ، ينفقه على نفسه وإخوانه فى طلب العلم ، ويرحل به إلى الآفاق ...

* * *

ومرت الأيام والسنون ...

وتبدلت الدنيا ، وتغيرت الدول ، وأفل نجم بنى أمية ... ولكن البحر لا يزال يموج ويمتد ، ويغمر أرجاء من الأرض جديدة ، فيحمل إليها الحياة والخصب ، وتعيش فى ربيع دائم ، تحت راية القرآن ...

وبلغ الفتح فى الشرق ، أراضى الصين ، فرفرف عليها علم الاسلام أثر معارك هائلة اصطرع فيها الحق والباطل صراعاً عنيفاً ...

فى عشية معركة من المعارك ، خرجت منها الراية الاسلامية مظفرة منصورة ، وخفقت على بقاع جديدة طالما خفقت قلوب أهلها شوقاً إلى الحكم الاسلامى ، انصرف المسلمون إلى المعسكر يؤدون فى الليل واجب الذكر والعبادة ، كما أدوا فى النهار واجب الحرب والجهاد ، ويعطون أجسادهم حقها من الراحة ، كما أعطوا الأمة حقها من التضحية

والبذل ، ولقد كان هؤلاء المجاهدون جناً فى النهار ، رهباناً فى الليل ، وكانوا مثالاً للشرف والفضيلة والاخلاص . . .

ومضى الهزيع الأول كله ، ونام المجاهدون ولم يبق ساهراً إلا الحراس يجيئون ويذهبون من حول المعسكر ، ورجل آخر أصابه الارق فبقى مسهداً يحس كأن يداً خفية تهز قلبه فيخفق ويشتد خفقانه ، وتحمله على الرجوع إلى سالفات أيامه ، فإذا هو يذكر عالماً بعيداً متوارياً فى ظلام ثلاثين سنة ، فلا يطيق البقاء فى خيمته ، فيخرج إلى العراء ، فيجد الليل ساكناً موحشاً ، لايسمع فيه إلا نداء الحراس ، وأصوات الوحوش التى تزدحم على الجثث التى تغص بها ساحة القتال ، فيبتعد عنها ويناى عن المعسكر فلايعترضه أحد لأن الجيش كله يعرفه ، بل لعله أقدم جندى فيه ، لم يفارقه منذ سبع وعشرين سنة ، يتنقل فيها من ميدان إلى ميدان . . ومضى يمشى وحيداً حتى بلغ الوادى فجعل يجول فيه ، حتى بلغ قرارته . وكان يجرى فى الوادى جدول ماء له خرير وزئير ، يبدو فى الليل سريعاً مخيفاً ، فتركه وتسلق الجبل ، حتى بلغ قنّته فأشرف منها على الفضاء الواسع ، وكان الفجر قد كرب أن ينبلج ، فسرت خيوط ضعيفة من النور حيال المشرق فطفق يحدق فيها ، ويحس كأنه ينشق منها أريجاً يحيي نفسه وينعشها ، وجعل يحس بأن قلبه يرق رقة شديدة ، ونفسه يسمو ، وأن خيالات الحب تلوح لعينيه من وراء الأفق البعيد ، غائبة فى ظلام الماضى ، فجعل يتأملها ، فيبصر وجه سهيلة وقد وقفت على الباب تودعه ، وتسأله ألا يذهب ، فلا يبالى بها ويمضى لطيته ، وكانت ليلة قمراء — إنه يذكرها كأنها كانت أمس — ويذكر المقيق وأهله . . . ثم يفكر فى حاضره . إنه سيموت وحيداً شريداً لا يدرى به أحد . إنه لا يبالى الدنيا ولا يحفل الناس ، وحسبه أنه سيموت مجاهداً فى سبيل الله ، ولكن ألا يسأله الله عن زوجته ؟

وأحس فى تلك الساعة بإساءته إليها ، وانطلق يفكر فيها ، هل هى حية لا تزال أم هى قد ماتت حزناً وكمداً ؟ وهل هى فى المدينة أم رحلت فلايدرى أى أرض تقلّها ، وأى سماء تظلّها ؟ وهل بقيت على العهد بها ، أم قد استهواها الشيطان ووطأ لها أكناف المعصية ، والثلاثون ألف دينار ، هذا الكنز ، ماذا صنعت به ، هل احتفظت به أم أنفقته ؟ وإن تكن قد ماتت فماذا جرى على المال ، وأي يد ألقيت عليه ؟

وطفق يذكر ، ويقلب صفحات سبع وعشرين سنة . . . هجرفيها زوجته ، وتركها تتقلب وحدها على الفراش ، تفكر فيه كل ليلة وتشتاق إليه ، وتمنى نفسها بعودته فى صباحها ، تسعة آلاف وسبعمائة وعشرين ليلة . . . غبرت عليها وهي تتجرع كل ليلة منها هذه الكأس فماذا حملت من هم ، وماذا ذاقت من ألم ؟ وهل بقيت بعد ذلك فى الاحياء ؟

وتمنى لو أن مخبراً يخبره عنها وعن ماله ، ثم يطلب إليه ما يشاء ، وأحس كأن رأسه سيصدع من التفكير . ولكنه طفق يذكر على الرغم منه . .

ذكر كيف لبث أياماً وليالى لا تفارق صورتها مخيلته حتى واجه العدو وانغمس فى القتال ، فلم يكن يذكرها إلا حين يأوى إلى فراشه ، ثم أمعن فى الجهاد ، فلم يعد يذكرها أبداً وظن أنه لم يبق لها فى نفسه أثر حتى انفجرت ذكرياته كلها فى هذه الليلة انفجاراً . . .

وجعل يتخيل هذه الدهشة اللذيذة التي ستغمرها حين تراه قد عاد إليها ، ولم يقو على البقاء، وتمنى لو طار إلى المدينة طيراناً . لقد خرج منها وهو شاب مافى وجهه ولا فى رأسه شعرة بيضاء.. فأمسى وجهه ولحيته كالثغامة ؛ وتصور كرة أخرى أنه سيموت فاستفظع أن يموت ولا ير زوجته ، ولما يقبض ماله ، ولما ير العقيق ووادى النقا ومسجد الرسول . واشتد به الحنين، فأسرع من فوره إلى القائد يستأذنه بالقفول ..

* * *

عاد يطوي البلدان لا يستقر فى مكان ، ولا يقيم فى بلد حتى يعاوده الحنين فيدعه يوالى مسيره ، لا ينقطع لحظة عن التفكير فى زوجه وماله ، تلك الثلاثون ألف دينار ، ثروته كلها وكنزه الذى يبنى عليه الأمانى . إنه سيضم إليه هذه الأربعة من الآلاف التى جمعها من عطائه ومن نصيبه من الغنائم . وكان يتصور ألوان الممكنات لا يطمئن إلى صورة حتى ينتقل إلى غيرها ، لا يهدأ ولا يستريح ، وكان يخشى أن يدركه الأجل قبل أن يبلغ أمله، فيكز فرسه ويعدوها عدواً شديداً ، كأنما كان يسابق الموت... حتى إذا بدت له طلائع الجزيرة ، وبدت رمالها الأزلية التى أعجزت الجبابرة والفاتحين فلم ينالوا منها منالاً ، وأعجزت الحياة فلم تقدر عليها ولم تدخل حماها ولم تخرج فيها نبتة مخضرة ، وأعجزت الممات فلم يبدلها ولم ينل منها ، فهى كائنة من الكائنات الهائلة التى تعيش فوق أنظمة الحياة والموت ... لما بدت له هذه الرمال اطمأن إليها وأنس بها ، وأحس أن سمومها روح لقلبه ونعيم ، وأن شمسها المحرقة ظل عليه ظليل، وأن جبالها الجرداء وبيدها القاحلة رياض فى عينيه وجنات . وجعل ينذ السير فيها حتى بدت له جبال المدينة تلوح له على حواشى الأفق فلم يتمالك نفسه أن يصيح من الفرح ، ويطير إليها ...

* * *

رقص قلبه فى صدره حين بدت له طلائع المدينة تحيى، وأحس كأنه لم يرها قط بهذه البهجة وهذا الرواء. وكان ذهنه قد كل من التفكير فترك كل شئ للمقادير وانطلق يمد نفسه لكل ما تفجؤه به، وكان قد صار حيال (أحد) فوقف يتأمله وهو مأخوذ برونقه وجماله ، وهذه الألوان التى تمتزج فيها حمرة الرمال بزرقة الصخور وبياضها ، فيكون منها صورة فاتنة لا يمل الناظر من النظر إليها . وكان فروخ يجد في النظر إليه لذة ويذكر فيه عالماً مبهماً من الذكريات والمتع أنساه غايته لحظات ، استدار على أثرها فترك العقيق عن يمينه وكان خالياً فى تلك الساعة من النهار ... واستقبل (سلماً) الذى طلع عليه بسواده وظلامه فعاف النظر إليه ، وساق راحلته فاجتازت به مسجد ذباب ، فانكشفت له المدينة ورأى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن قد أنشئت عليه هذه القبة ، لأن القوم لا يزالون إلى ذلك العهد على السنة الصحيحة ، ولم تكن هذه البدع وهذه المظاهر قد عرفت طريقها إلى نفوسهم ، فذهب يؤم منزله وهو بسلاحه على راحلته ، وكان يعرفه كأنه قد فارقه أمس، ولم تتغير المدينة عن عهده بها كثيراً، ولكنه آثر أن يغلب هواه ويقهر رغبته ويبدأ بمسجد الرسول . ومنذا الذى يدخل المدينة ولا يبدأ بالسلام على رسول الله

سلم على الرسول ، وصلى فى الروضة ، ثم

تلفت فاذا هو بحلقة عظيمة ، تزدحم فيها العمائم ، فتطاول فلم يبصر وجه صاحبها ولم يعرفه ، فوقف يستمع فسمع عجباً أنساه الدار والمال والزوجة ، فظل فى مكانه حتى أذّن المؤذن بالعصر فانفضت الحلقة ، وذهب فروخ يصلى مع الجماعة فشغلته الصلاة عن كل شىء

لم ير فروخ المدرس ولم يعرفه ، فذهب يسأل عنه جاره ، قال له :

— من صاحب الحلقة التى كانت هنا آنفاً ؟

فحدق فيه الرجل وقال له :

— ألا تعرفه ؟ ألا تعرف ربيعة الرأى ؟ من أين أنت أيها الرجل ؟

— غريب ، قدم الساعة ، فمن ربيعة الرأى هذا؟

— هذا فقيه البلد وامامه . هذا شيخ مالك وسفيان الثورى وشعبة والليث بن سعد . الا تعرف هؤلاء ؟ هؤلاء هم علماء المسلمين ، وائمة الدنيا ، هذا الذى يجلس فى حلقته أربعون معتما من شيوخ الحديث ..

لقد زاره أبو حنيفة . ألم تسمع باسم أبى حنيفة أيها الرجل فكان مجهوده أن يفهم ما يقول ربيعة . أعرفت من هو ربيعة الرأى ؟ هـذا الذى انفق على نفسه وعلى طلبة العلم ثلاثين ألف دينار ، أرأيت مثل هذا ؟ أسمعت به ؟ إنه لم يجلس للناس حتى بلغ من العلم والعبادة مبلغ من يقول فيه عبيد الله ابن عمر هذا عالمنا وأفضلنا وصاحب معضلاتنا ، أتعرف من هو عبيد الله بن عمر أم أنت لم تسمع به ؟ ..

فقال فروخ : بلى لقد عرفت ، لقد عرفت ، وقام إلى فرسه وقد ارتبطها بباب المسجد ، فركبها وحمل رمحه وانطلق إلى داره ، وقد هاجت فى نفسه ذكرياته وشكوكه ، وعادت إليها صورة زوجته ، فاذا هو يبصرها للمرة الواحدة والسبعين بثيابها البيضاء تشير إليه ألاّ يذهب ، وصورة الثلاثين ألفاً . ماذا جرى عليها ، وأى جديد مفاجىء ستلقاه به المقادير ؟

ولم تكن داره نائية عن المسجد — فبلغها بعد قليل ونزل عن فرسه ورمحه بيده ، وهم بخفق الباب ، فاراعه الاشاب حسن الشباب ، مكتمل الفتوّة ، يخرج منه ، تشيعه امرأته . نعم امرأته ، سهيلة ، لقـد عرفها من النظرة الأولى ، برغم ما تغيرت ، ورآها بعينه تشيع هذا الشاب ثم تدخل وتغلق الباب فهاج دمه فى عروقه ، وأقبل عليه مزمجراً صارخاً ، فنحاه عن الباب وهم بدخول المنزل ، فعجب منه الشاب وصاح به :

— ياعدو الله ، أتهجم على منزلى ؟

— قال : بل أنت عدو الله ، تدخل على زوجتى ؟

وتواثبا وتلبب كل منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران ، وبلغ مالك بن أنس والمشيخة ، فأتوا يمينون ربيعة ، فجعل ربيعة يقول :

— والله لا أفارقك إلا عند السلطان .

وجعل فروخ يقول :

— والله لا فارقتك إلا بالسلطان ، وأنت مع امرأتى .

وكثر الضجيج . فلمـا أبصروا بمالك سكت الناس كلهم ، فقال مالك :

— أيها الشيخ ، لك سعة فى غير هذه الدار .

قال الشيخ :

— هى دارى وأنا فروخ مولى بنى فلان .

فسمعت امرأته كلامه ، فخرجت فقالت : هذا زوجى ، وهذا ابنى الذى خلفته وأنا حامل به ، فاعتنقا

عواد كريمون

للشاعر الفرنسي فرنسوا كوبيه

بقلم الأستاذ محمد كامل حجاج

المنظر الخامس

فيليبو — صاندور

صاندور — لقد اقتربت الساعة الفاصلة

فيليبو — نعم يا زميلي

صاندور — هل هيأت كمانك للمرض ؟

فيليبو — بلى

صاندور — هل أنت مسرور ؟

فيليبو — نعم . وكيف حال كمانك ؟

صاندور — كمانى ؟ ليست ذات أهمية

فيليبو — لا يهمني ذلك ونجاحك هو الذى يعزينى إن سقطت فى هذا العراك الأدبى الأخوى. أتريد أيها الزميل أن تناولنى يدك ؟

صاندور (بعد سكوت) — لا

(ثم يخرج فجأة دون أن يفوه بكلمة)

المنظر السادس

فيليبو وحده

— ياله من حسود ! وقد ابتدأت الهجوم ! إنه متألم ويلزم أن أصفح عنه . إنه لمن المتعه أن يعترف الإنسان لصديقه المسكين المنكود الذى لم يحسده قط على قوته وجماله ، بفضل ضئيل لا يمس حبه الذاتى ولا يغيظه . وما أحسن أن يكون الناس أصدقاء ومتنافسين فى الوقت نفسه . إنه يجهل قدرك ولا يعرف لك فضلاً . يالقلب مفعم بالحنان والعطف ويتجنبه الناس . ولكن صفوة صناعتى هناك ولى فيها العزاء ! إننى مماثل لك أيتها الكمان العزيزة : آلة رقيقة فى ظرف غير منتظم الشكل

(ثم يذهب فيأخذ كمانه من خزانة وكانت موضوعة فى ظرف أحمر ثم يضعها على المنضدة اليمنى)

تعالى فانى أريد أن أشاهدك للمرة الثانية . أى صنمى العزيز الذى نفحنى الشجاعة ، أنا الصانع النحيل فريسة الضجر والضيق . لقد قضيت في صنعك أياماً وليالى . تعالى لتفجرى من جوفك العميق أشجى الألحان السريعة والأنغام البطيئة المبكية . تعالى فانى أريد أن أشاهدك وألمسك . إننى لا أريد أن أوقظ صوتك الرنان ، بل أكتفى برؤية وجهى فى خشبك الذهبى اللامع ، لأنك ستفارقيننى لمجد ناسوناء؛ ولربما وقعت بين النبلاء أو بين الأفاقين فأرقصت السوقة فى الضواحى أو النبلاء فى بلاط الأمراء وأنت ترتعدين من أصابع مهرة الضراب . وأنا الذى أعتقد بسذاجة فى عقلية الأشياء، أتوسل إليك وأنا أودعك أيتها الآلة النبيلة العزيزه ألا تنسى الذي منحك هذا الصوت الملتهب والأحدب المسكين الذى نفخ فيك من روحه (ثم يضم الكمان فى طرفها)

ما أنا إلا طفل ! ثم ماذا ؟ لا، فانى أكذب على نفسى وأخدع عواطفى بلاطائل . ياللأحمق المسكين مثلى ! لم أدخل هذه المسابقة للمجد وحده، ولكنى أردت أن أنال هذا النصر لأجل اللطيفة الحسناء جانينا لأنها التى اهتمت وحدها بآلامى فى هذه الدنيا . وحينما كنت طفلاً ضالاً متشرداً وقفت بباب المعلم فيرارى

عواد كريمون

للشاعر الفرنسي فرنسوا كوبيه

بقلم الأستاذ محمد كامل حجاج

المنظر الخامس

فيليبو — ساندور

ساندور — لقد اقتربت الساعة الفاصلة

فيليبو — نعم يا زميلي

ساندور — هل هيأت كمانك للعرض ؟

فيليبو — بلى

ساندور — هل أنت مسرور ؟

فيليبو — نعم . وكيف حال كمانك ؟

ساندور — كماني ؟ ليست ذات أهمية

فيليبو — لا يهمني ذلك ونجاحك هو الذى يعزيني إن سقطت فى هذا العراك الأدبي الأخوى . أتريد أيها الزميل أن تناولني يدك ؟

ساندور (بعد سكوت) — لا

(ثم يخرج فجأة دون أن يفوه بكلمة)

المنظر السادس

فيليبو وحده

— يا له من حسود ! وقد ابتدأت الهجوم ! إنه متألم ويلزم أن أصفح عنه . إنه لمن المتعة أن يعترف الإنسان لصديقه المسكين المنكود الذى لم يحسده قط على قوته وجماله ، بفضل ضئيل لا يمس حبه الذاتى ولا يغيظه . وما أحسن أن يكون الناس أصدقاء ومتنافسين فى الوقت نفسه . إنه يجهل قدرك ولا يعرف لك فضلاً . يالقلب مفعم بالحنان والعطف ويتجنبه الناس . ولكن صفوة صناعتى هناك ولى فيها العزاء ! إننى مماثل لك أيتها الكمان العزيزة ! آلة رقيقة فى ظرف غير منتظم الشكل

(ثم يذهب فيأخذ كمانه من خزانة وكانت موضوعة فى ظرف أحمر ثم يضعها على المنضدة اليمنى)

تعالى فانى أريد أن أشاهدك للمرة الثانية . أى صنمى العزيز الذى نفحنى الشجاعة ، أنا الصانع النحيل فريسة الضجر والضيق . لقد قضيت في صنعك أياماً وليالى . تعالى لتفجرى من جوفك العميق أشجى الألحان السريعة والأنغام البطيئة المبكية . تعالى فاني أريد أن أشاهدك وألمسك . إننى لا أريد أن أوقظ صوتك الرنان ، بل أكتفى برؤية وجهى فى خشبك الذهبي اللامع ، لأنك ستفارقيننى لمجد ناسويّاً ؛ ولربما وقعت بين النبلاء أو بين الأفاقين فأرقصت السوقة فى الضواحى أو النبلاء فى بلاط الأمراء وأنت ترتعدين من أصابع مهرة الضراب . وأنا الذى أعتقد بسذاجة فى عقلية الأشياء ، أتوسل إليك وأنا أودعك أيتها الآلة النبيلة العزيزة ألا تنسى الذي منحك هذا الصوت الملتهب والأحدب المسكين الذى نفخ فيك من روحه (ثم يضع الكمان فى ظرفها)

ما أنا إلا طفل ! ثم ماذا ؟ لا ، فانى أكذب على نفسى وأخدع عواطفى بلاطائل . يالأحمق المسكين مثلى ! لم أدخل هذه المسابقة للمجد وحده ، ولكنى أردت أن أنال هذا النصر لأجل اللطيفة الحسناء جانينا لأنها التى اهتمت وحدها بآلامى فى هذه الدنيا . وحينما كنت طفلاً ضالاً متشرداً وقفت بباب المعلم فيرارى

فقابلتني بكل طيبة ولطف دون أن تضحك ، وإن هذا الحب الصامت من صديق طفولتها لا تعده إهانة لها ، وإني أرغب أن أحصل على نصيب من الفخر يجعلني محبوباً يوماً ما . وإني واثق من النجاح الذي أنشده . إنني لا أتسلح بقسم والدها فربما يكون فؤادها خالياً ، وحينما أمنحها السلسلة الذهبية البديعة وتشعر أن من هذا الجسم النحيل قد تفجر النبوغ لأجلها ، إنها ابنة فنان وسيكون لها نصيب من العظمة ، وستفكر في الذكاء وتنسى الدمامة ، ولمدة أسباب تستطيع نفسها المخذولة أن ... أواه ! إنني أحلم بحلم فتال

المنظر السابع

فيليبو — جانينا

جانينا (تدخل) — إنه وحده ، وسأسأله إن كان ساندرو عنده بعض الأمل (ثم تتكلم بصوت مسموع)

فيليبو — (منتبهاً من أحلامه)

إلهي ! إنها هي !

جانينا — يجب أن أسدد إليك سهام اللوم لأنني كنت أجهل ما يعلمه كل الناس كما أنني لم أعلم منك هذا النبأ

فيليبو — وما الأمر ؟

جانينا — إنك ستدخل المنافسة لتحصل على الجائزة !

فيليبو — كان من الواجب علي أن أعلمك أولا ، ولكني حينما عرفت ميل المعلم فراري والقسم الذي فاه به لم أجسر على ذلك ، فعفواً يا آنستي !

جانينا — نعم ، ولكن دعنا من هذا . إنك تعلم أن أبي الهرم الذي يحبني لا يريد أن يتصرف في ولا أن يكلف المصادفات بالعناية بسعادتي . أما السلسلة الذهبية وشهادة الشرف فتختلف عن هذا بكثير ، وكل فرد له الحق في التنافس فيها ولا سيما أنت بعد ما سمعت بمهارتك

فيليبو — وكيف ذلك ؟

جانينا — ولكنك صنعت كما يقولون إنها ستنال الجائزة بلا ريب لأنها تحفة فنية

فيليبو — إنني أعترف أنني بذلت ما في الوسع ، ولربما نجحت أو سقطت في المسابقة ، ومن يا آنستي الذي سيهتم بذلك ؟

جانينا — من ؟ كثير من الأصدقاء الذين يهتمون بأمرك وقد برهنوا على ذلك

فيليبو — عفواً فاني غبي ، وحينما يكون الانسان حبيباً يظن أنه قليل الثقة ؛ وإني مدين لك بنصف أسراري ، وحينما تتملكني الهموم والأشجان لا أجد من يشفق علي إلا إياك ، لأنك تغتبطين حينما تريني سعيداً . إنني مثل نبات « الست المستحية » إذا اقترب مني أحد تقهقرت بحركة آلية متصوراً أنهم يريدونني بسوء ، فعفواً يا آنستي !

جانينا — إذا كان الأمر كذلك فاني أنسحب

فيليبو — كلا ! لا تبرحي مكانك فسأقول لك كل شيء لأني أنكرت جميلك وأهنتك ، واعلمي أني واثق من النجاح لأني أحكم على عملي بدون تسامح ، ولا أدري إن كان النجاح حليف الذكاء والمهارة أم حليف الحظ ، ولكنني قد نجحت على كل حال (ثم يعرض كأنه)

وحينما ابتدأت عملي هذا بذلت ما في وسعي من العناية وصنعت قصبتها من خشب التنوب ورقبتها من الاسفندان ، ولكن كل هذا لم يك شيئاً مذكوراً ، بل العجب كل العجب ما عثرت عليه في ساعة من

الليل وهو الورنيش القديم أو السر المفقود ...

جانينا — هل هو الورنيش المشهور الذى كان يستعمله الأساتذة الأقدمون ؟

فيليبو — إنه فى حوزتى وأرغب كمنافس كريم أن أذيع تركيبه بين المتنافسين . ولقد قارنت بين كمانى وكمان صنعها « إباتى » المشهور فكانتامتشابهتين فى الصوت بالضبط . وإنى واثق من قولى . إننى أخرج من الأخشاب الأربع — كما كان يعمل الأساتذة الكبار — صوتاً عميقاً عظيماً رناناً يملأ كنيسة كبيرة !

جانينا (على حدة) — وا أسفا على صاندور المسكين !

فيليبو — إننى منذ هذا اليوم السعيد وأنا أخفى سعادتى كالعاشق ، ولا يهمنى الآن إن أخذت الجائزة أو حرمتها ، لأن حياتى عيد مستمر ، وإنى أتمتع بكنزى الثمين كالبخيل . أجتاز كريمون وأهلها نيام لأصل إلى مكان خلوي هناك وكمانى على عباءتى وأجلس وحدى فى سفح الأكمة فوق العشب المخضل بقطر الندى فأغرق فى أحلامى إلى أن تطلع الشمس ، وفى الختام حينما يتلألأ الأفق بماسه ويلوح حولى اختلاج الطبيعة منبئاً باستيقاظها ، وتهتز الأعشاب ، ويسمع حفيف الغاب والخمائل ، وقد عاودتها نضارتها فى الليل وانطلقت من الأوكار ألحانها الشجية — أتناول كماني ببشر وفرح ، وأرتجل من الألحان أشجاها ، وهذا هو خير الجزاء ، وأصطبح بقوس ظافرة للفظ الفخم الذى ينبعث من الشمس المشرقة والتنهدات الطويلة لأوراق الأشجار ونقيق الدواجن المستيقظة ، كل ذلك يسعد نفحاتى فأسكر من نشوة الطرب ، وهذه الكمان الظافرة أشعر باختلاجها بجانب قلبى فتمتزج ألحانها بألحان الفجر فتغرق نفسى فى نشيد ساحر من شباب وفرح

جانينا (على حدة) — وا أسفا على صاندرو المسكين !

جانينا (على مسمع منه) — إن ذلك لأجل مما وصفت

فيليبو (وقد وضع كمانه على كتفه) — إصغى اليها وكيف تخرج صوت اللا La

جانينا — وقع لنا لحناً فإنى أحب أن أستوعب صوتها جيداً

فيليبو (على حدة) — إنها تتكلم بلهجة حنان وهى ترجونى ، فهل تتمنى لى أعظم الأمانى لنجاحى ؟ (على مسمع منها) هل ترغبين سماع صوتها حقاً ؟

جانينا — نعم بلا شك (على حدة) سنرى إن كان يتملق أو يقول الحقيقة

فيليبو — أترغبين أن أوقع لك السونات من مقام الصول لكوريللى

جانينا — وقع ما يروق لك

فيليبو (وهو واقف أمام حمالة النوتة) — إصغى جيداً إلى هذا (يوقع فيليبو المقاطع الأولى من لحن عظيم على كمانه ذات الصوت الرخيم الرنان فيمر وجه جانينا التى كانت مصغية إليه عن إعجاب مصحوب بألم ثم تنكس رأسها بين يديها وتبكي بكاء مراً فيلمحها فيليبو ويصيح قائلا :)

ما ذا أرى ؟ أتبكين ! وهل أنا الآن أبكى الناس بعد ما كنت أثير منهم الضحك ؟ أما يشبه صوتها التنهدات ؟ أليس الفن مغرياً وجميلا ، لأن هذا الأحدب الذى كان يضحك منه الغلمان ويرشقونه بالحجارة قد استطاع أن يفجر الدمع من جفونك ؟ إننى لم أعد حقير الأمس ، فإن لى الحق أن أرفع رأسى وأشمخ بأنفى . لقد أبكيتك ، وهذا ما يعوضنى يا جانينا عن الفخر والجزاء ، ولا أجد جزاء أثمن من اللآلى التى تمطر من عينيك

(يتبع) محمد كامل حجاج

أحزان الطفولة

أقصوصة مصرية
بقلم الأديب نجيب محفوظ

مات أبوه فأحدث موته هزة عنيفة فى نفسه ، فجّرت بها ينابيع الحزن والألم والخوف ، وجاء الموت بغتة فلم يسبق بما يمهد له عادة من مرض مستفحل ، أو حادث أليم ، أو عمر بالغ فى الكبر . وقد قابله صباح يوم الوفاة كعادته كل صباح وتناول معه طعام الافطار وقرأ عليه الصحف وجاذبه بعض الحديث ثم غادر البيت لقضاء بعض الشؤون فغاب ساعات معـــدودات ، ولدى عودته وجد البيت — الذى غادره ساكناً تظلله الطمأنينة — صاخباً فزعاً يمزق سكونه النحيب ويئن فى تضاعيف جوه البكاء والعويل ، وتاق الخبر الأليم بأن أباه العزيز — الذي كان يحادثه منذ حين قصير ، والذى كان يبدو ممتلئاً صحة وعافية — انتقل فى دقيقة من الساعات التى غابها عنه إلى عالم آخر لا يبلغه حى فى ملايين السنين .. وأنه صنع هذه المعجزة الكبرى دون بذل أى جهد أو قوة ، بل إنه صنعها بسلب الجهود والقوى جميعاً ... فبلغ به الانحلال مالا يبلغه استجماع القوى وتوثب العزائم ، وغاب فى غمرات ذلك العالم المجهول الذي أعجزت حقيقته خيال العلماء والفلاسفة ...

على أنه لم يمن — فى تلك الساعات الرهيبة — بالتفكير فى كنه العالم الذى صعدت ، أو هبطت ، روح المتوفى إليه ، ولكنه وقف مبهوتاً ، ذاهل الحواس ، ذاهب النفس ، أمام حقيقة عجيبة لا يجهلها إنسان ولا يقبلها قبوله للحقائق المسلم بها أبداً ، وهى أن ذلك الوالد العزيز الذى كان يملأ هذا البيت حياة وسيادة ، صار جثة هامدة ... هامدة جامدة كالتراب سواء بسواء ، وأن دبيب الفناء يدب الآن فى بقاياه ، وأنه سيظفر بها بعد حين قصير ويحولها إلى شىء تعافه النفس والحواس بل والحيوان والحشرات ، وأنه أصبح بالنسبة إليه ذكرى لا أمل فى رجوع صاحبها أكثر مما فى رجوع أول ميت من البشر ... فلا لقاء ولا حديث ولا وجود له بعد اليوم ... ! وكبر عليه الأمر ، لأن عواطفه وآلامه طغت على عقله فتساءل جزعاً بسذاجة الطفل : « كيف أمكن أن يموت أبى ؟! » ثم بدا له تساؤله غريباً شاذاً ، فتنهد آسفاً وقال : « ليته امتد به العمر حتى أشبع منه وحتى يهون على فقده » وثار على قول بعض المعزين : « إن الموت نهاية كل حى » أو قولهم : « الموت لا يسخط عاقلاً » . نعم ثار ثورة مكتومة على هذا التسليم المضحك وقال لنفسه : حقا إن الموت نهاية كل حى ، ولكنه نهاية حقيقة بأن تذهل الحى عن نفسه وإن كان يقع فى اليوم الواحد مئات المرات . كيف لا ؟ .. أيكون من الحكمة أن نثور لضياع حافظة نقود أو لسقوط نائب في الانتخابات ولا نثور لأكبر حادث يقع لحياة الانسان ، فيبدل روحها موتا وأنسها وحشة وجمالها بشاعة ووجودها ذكرى ؟ ثم إنه رأى فى موت أبيه نذيرا مخيفا يتهدده بالموت . لقد مات أبوه فلم لا يموت هو أيضاً ؟ وقد كان بمأمن من هذه الفكرة فلاحت لعينيه سافرة عن وجهها البشع المخيف وملأت نفسه عذابا وسخرية مريرة ...

كان هذا الشاب أكبر ذرية أبيه — وهم ثلاثة ذكور وثلاث إناث — وقد أوفى حظه من حب والديه على حظ إخوته جميعا، فكان فى صباه الطفل المدلل المحبوب الذى لا يقال له أبدا : «لا» ونادرا ما يقول «بلى» أو «نعم»، فنشأ على اعتقاد راسخ بأن الدنيا لعبة طيعة بين يديه ، وأن جميع متعها قطوف دانية يجنيها أو يزهد فيها كيفما أراد ، وأن الدهر لا يصيبه ولن يصيبه إلا بما يشاء ، وأنه إذا كانت الدنيا — كما يزعمون — غاصة بالمتاعب والأحزان فهو يمنجى آمن منها . وكان إذا اعترضه صعب أو شاكسته مشقة هتف قائلا : «أبتاه» أو «أماه» ، وسرعان ما يلين الصعب ويسلس الشاق ، فلم يصمد مرة لشدة أو يتغلب على محنة ، وكتب عليه ما يكتب عادة على أمثاله من الخيبة التامة فى الحياة المدرسية ، فبقى فى حضانة والديه رغم تقدم العمر وبلوغ الثلاثين ، وتغير الكثير من مظهره ، أما نفسه فظلت متشبثة بالطفولة المقنعة ... ولذا كان ألم موت أبيه غير ألم إخوته جميعاً — بما فيهم النساء — لأنه يعنى تهدم ركن من ركنى سعادته ، وفقد قلب من القلبين اللذين يعيش على عطفهما ومحبتهما ...

ولكن لا ينبغى أن نفهم من هذا أن موت أبيه كان يقضى عليه بالفقر أو التشرد ، فقد ترك المتوفى لورثته عمارة كبيرة تدر عشرات الجنيهات كل شهر ، ونصيبه منها يكفيه ويضمن له حياة رغد تعوضه عما فقد من عطف وما فاته من عمل أو وظيفة

وكان أشقاؤه الثلاثة موظفين ذوى مستقبل حسن وأرباب أسر سعيدة ، وكانت شقيقاته أيضاً زوجات وأمهات يعشن فى كنف أزواج صالحين ، فلم تخلف الوفاة له متاعب عائلية ولا حملته تبعات جديدة . والحق أنه كان من بين إخوته من يحسده على حياته الهادئة المطمئنة الخالية من المسئوليات والهموم، فكان لذلك كله حقيقاً بأن يغتبط ويتعزى ويحمدالله كثيراً ، ولكنه على العكس جزع جزعاً لا حكمة فيه وتردى فى أهوال الألم والعذاب والتشاؤم حتى أشفى على الهلاك والفناء ... والحق أن العالم كان بريئاً مما حاق بنفسه من التغير والعذاب لأنا رأينا ظروفه حقيقة بأن يحسده عليها أغلب المصابين فى آبائهم، فلم يبق سوى عالمه الداخلى وحده الذي يتحمل تبعة آلامه ، فقد أحدث المصاب فى نفسه هزة عنيفة عجزت عن تحملها أعصابه فتضعضعت واعتورها مرض طاريٌ انتقلت عدواه إلى العالم الخارجى فكسته لباساً أسود من الحزن والألم والبشاعة ...

وكانت الأيام القلائل التى تلت يوم الوفاة أيام عذاب قاتل وألم مبرح ومخاوف مروعة ، وقد قضاها في عزلة موحشة فريسة للهواجس يجتر أفكار الحزن واليأس ليلاً ونهاراً ، وقد بدت له الدنيا مظلمة حالكة الظلمة عاطلة من الجمال ، شحيحة بالأمل ، مليئة بالآلام والوحشية ، ولاح لعينيه المحزونتين — فى الأفق القريب — وحش الفناء فاغراً فاه يبتلع كل ساعة المئين من الناس البائسين الذين يتعبون فى غير جدوى ، ويتخبطون على غير هدى، ويشقون بالآمال ويأملون بالأوهام، ثم يهوون بين أنيابه الحادة غير مجزيين على تعبهم سعادة ، ولا متعزين عن شقائهم بأمل ، ولا مخلفين غير الحسرة والسخرية المريرة ... فأى حياة هذه ! وما الفائدة منها ؟ وما الحكمة من وجودها ؟ ... وأى عذاب

هذا وأى رعب ! وكيف يستطيع أن يطمئن على حياته فى هذه المعركة الخاسرة ؟

حقاً إن دواعى الطمأنينة متوفرة لديه ، فهو طليق من متاعب الرجال ، وموفور الرزق ، ولكن من يضمن له أن تظل العمارة — التى هى مصدر رزقه — آهلة بالسكان ؟ بل من يضمن له ألا تخلو من الغد من جميع سكانها فيسلك مقهوراً فى عداد السائلين البائسين ويطرق أبواب إخوته جائعاً خجلا فيطرده منهم من يطرده أو يطعمه من يطعمه وهو يضيق به ؟ ...

بل ما وجه المحال فى أن تمسى تلك العمارة أثراً بعد عين لحادث من الحدثان ؟ إن شرارة من نار حقيقة بأن تحولها فى دقائق إلى كوم من رماد ، أو هزة أرضية مباغتة قد تدكها دكا وتتركها خرائب ونلولا من أخشاب وأحجار ، وما الحريق ببعيد ولا الزلزال بمستحيل ، وهى — لو أمنت اليوم شر النار والزلزال — فما هى بآمنة غداً ويل الهرم والبلى وتناقص الغلة ، فالخراب واقع واقع ... والفقر آت آت ...

ومن الغريب أنه كان يشعر شعوراً قوياً بأن الفقر ليس هو البؤس الوحيد المدخر له ، وأن الدنيا لن تقنع فى تعذيبه بسلب موارد رزقه ، بل توجس خيفة من ناحية شقيقاته وخيل إليه خياله المريض أن رابطة الزوجية التى تخليه من تبعاتهن لن تدوم أبداً ، وأن شياطين الشقاء ستقصم عراها بالشقاق والنزاع وتحمل إلى بيته شقيقاته البائسات مع أطفالهن الصغار فيصبح مسئولا عنهن جميعاً بصفته الأخ الأكبر والأعزب أيضاً فينوء بمتاعب الأزواج وما هو بالزوج ويرزح تحت تبعات الآباء وما هو بالأب ، كأنه ليس حسبه ما ينتظره من الفقر والشقاء. وما يستطيع إنسان أن يشرك أشقاءه فى تحمل المسئوليات لأن لكل منهم أسرته ، ولأنه أخوهم الأكبر الذى خلف والده ...

على أنه لا يأمن شر ذلك الشقاء الطاغى على أشقائه أنفسهم ؛ ولو أن الأمر كان يتعلق بهم وحدهم ما اهتم ولا قلق ، ولكنه كان يخشى أن تضيف المصيبة التى قد تنزل بأحدهم إلى حياته متاعب جديدة ؛ فلو أن واحداً منهم لحق بوالده لأصبح هو مسئولا عن أولاده ، وهو لا يدرى ما كنه هذا الشعور القوى الغريب الذى يهمس فى أعماقه بأن أشقاءه هالكون لا محالة ، وبأنه سيأتيه نعيهم قريباً . أى شعور هذا ؟ إن أشقاءه مكتملو الصحة والعافية ، ولكن وا أسفاه لا الصحة ولا العافية بالضمان الآمن ضد الموت ... ألم يقض والده وهو يتحدث ويضحك ويتمتع بالصحة والعافية ؟ فالموت يتهددهم جميعاً ومتاعب الدنيا وهمومها تنتظره عن كثب ... وما من قوة فى الأرض تستطيع أن تخدعه عن هذه الحقائق المخيفة ولا أن تمحو من نفسه الشعور بها ، فهو يحس بدنوها منه ويتوقع حدوثها ساعة بعد ساعة ... الموت والمتاعب والفقر ...

ما أنكد وجه الحياة ! إنها لم تقنع باغتصاب والده منه ، فهى تكيد لشقيقاته البائسات ، وتتربص بحيوات أشقائه المنكوبين ، وتعد العدة للقضاء على مصدر رزقهم جميعاً ، وهى قوية بين يديها جميع الأسلحة المدمرة من موت وأمراض وشقاق وحرائق وزلازل ، وسيجد نفسه عما قليل ضحية لقساوتها فقيراً معوزاً مسئولا عن جمع غفير من المطلقات والأرامل واليتامى ...

كانت تلك الأيام كلها عذاباً دونه عذاب الجحيم لم يرتح فيها عقله ساعة من شر ذلك التفكير الوبيل الذى يفرز السموم والعذاب والمخاوف ، حتى تمكنت الأوهام الأليمة من نفسه، وكدرت أوقات يقظته وأحلام نومه ، وجعل يتوقع كل ساعة أن يسمع عن انهيار العمارة أو ذهابها طعمة للنيران، أو أن يأتيه آت ينعى أحد أشقائه أو ينعيهم جميعاً، وخال كل طارق لبابه أختاً من أخواته راجعة إلى بيته تسحب خلفها أطفالها ... وفاضت نفسه بالجزع فلم يستطع صبراً وضاق بعزلته فخرج هائماً وصار يتردد على بيوت أشقائه وشقيقاته ليطمئن عليهم وقد وجدهم جميعاً سعداء آمنين ، فعجب من جهلهم وغفلتهم ... وودّ لو يستطيع أن يقول للرجال منهم « خذوا حذركم من الأمراض والحوادث ... ولا تعرضوا أنفسكم لهواء الشتاء ولا لشمس الصيف . ولا تترددوا فى دعوة الطبيب لأتفه الأسباب . وإياكم والترام والسيارات » أو أن يقول للنساء « أطعن أزواجكن طاعة عمياء . وتعرفن مواضع إرضائهم وتجنبن ما يضايقهم واصبرن عليهم وإن طغوا وبجنوا عليكن . » ولكن الصراحة لم تواته فجعل يدور حول غرضه دورا ولا يختار حديثا غيره . وكان يحدث نفسه كلما رجع من احدى زياراته: ألا سحقاً للذين يقولون أن الأهل عزوة وقوة ! وياليتنى كنت وحيداً لا أعرف لى أخا ولا أختا ، فقيرا لا أملك ما يجوز أن آسف عليه .. واها ... ما أسعد أبناء السبيل ! إن اللقمة التى يلتقطونها من القمامة ويزدردونها وهم يغنون أشهى من الطعام الدسم الذى يهبط إلى جوفى مع الهموم والاحزان التى لا تهضم !! ..

وتغيرت صورته وطباعه تغير نفسه، فهزل واعتل وعلت وجهه صفرة شديدة وغارت عيناه وأحاطت بهما هالة سوداء ، وتغيرت طباعه وعاش عيشة المذعور الخائف، فصد عن الدنيا وعزف عن الأصدقاء وهجر الطيبات والملاذ واستحال جوده شحا شديدا وتقتيرا قبيحا ، لأنه رأى أن من الحكمة أن يدخر المال لتلك الأيام السود التى تنذره بالفقر والتبعات والمتاعب .

هذا ما صار إليه فى الأيام القلائل التى تلت وفاة والده. ولكن حمدا لله لم تدم هذه الحال، فمضت الأيام حثيثة وأخذ وقع الصدمة يهون على نفسه ونار اللوعة تبرد فى صدره ، واعتاد غيبة أبيه كما كان معتادا لوجوده ، ولم يحدث الزلزال ولا شبت النيران ، نعم ولا صدع الشقاق شمل أخواته ولا اخترم الموت أشقاءه، ومضى يفيق من غيبوبة الحزن والخوف وينفض عن قلبه أشباح الفزع والأوهام ، ويستروح الطمأنينة والسلام .. ثم طوى النسيان متاعبه فى زوايا مغلقة الأبواب، فرأى مرة أخرى دنياه القديمة: دنيا الجمال والمتع التى يشرق حسنها فى السموات والأرض والانسان والحيوان والجماد ، لا دنيا الزلازل والحرائق والأمراض والفناء، فانطلق يمدو فى طريقه من حيث حبسته المخاوف حينا ليس بالقصير

فكان فى مصابه — كما هو فى حياته — الطفل الغرير الذي قد يحزن حتى ليذهله الحزن عن نفسه فيرمى لعبته ويدعها تتحطم عند قدميه ويجهش بالبكاء ثم سرعان ما ينسى فيعود سريعا إلى نشوته ويغرق فى الضحك ...

نجيب محفوظ

الدخيل

للكاتب العبقري موريس ماترلنك

بقلم محمد أمين

الأشخاص :

الجد (مكفوف البصر)
الأب
البنات الثلاث
العم
الخادم

حجرة كئيبة فى قصر ريفى قديم . باب عن يمين ، وباب عن يسار ، وفى ركن من الأركان باب صغير . من خلف نوافذ من زجاج ملون يغلب فيها الخضرة ، وباب زجاجى يؤدى إلى مشرف . فى إحدى الزوايا ساعة كبيرة هولاندية . مصباح يشتعل

البنات الثلاث — أقبل يا جدّى . اجلس تحت المصباح

الجد — كأنما الضوء هنا ليس بموفور

الأب — أنخرج إلى المشرف أم نبقى بهذه الحجرة ؟

العم — أليس من حسن الرأى أن نبقى هنا ؟ لقد اتصل المطر الأسبوع كله ، فالليالى رطبة باردة

الابنة الكبرى — ولكن النجوم ساطعة

العم — النجوم ؟ ليست هذه شيئا

الجد — أرى البقاء هنا أولى ، فما يدرى أحد ماذا يحدث

الأب — لم يعد شىء يثير الجزع . فالخطر قد زال وقد نجت

الجد — فى اعتقادى أنها لم تصبح بعدُ

الأب — لم هذا القول ؟

الجد — تممت صوتها

الأب — ولكن ما دام يعدنا الأطباء خيراً فلنسكن روعنا

العم — ألا إنّ حماك ليستهويه إزعاج أنفسنا بغير موجب

الجد — إنى لا أرى الأشياء كما ترونها

العم — اعتمد علينا إذن نحن أولى الأبصار . لقد بدت أحسن ما تكون عصر اليوم ؛ وإنها لناعمة قريرة الجفن ، فما لنا نكدر أول مساء هنىّ صفت لنا فيه الحياة !؟ إنما حق لنا هذا المساء كل الحق أن نطمئن ؛ بل ونضحك يسيراً ولا خوف

الأب — حقاً . فانى آنس إلى أسرتى أول مرة ، منذ كان هذا النفاس المروع

العم — إذا دخل المرض يوماً إلى البيت فكأنما اندس فيه غريب

الأب — وأنت تعلم كذلك أن لا اعتماد على غريب

العم — أجل

الجد — لم حُرمت اليوم رؤية ابنتى ؟

العم — ليس يغيب عنك ولا ريب أن الطبيب قد منع رؤيتها

الجد — لا أدري بماذا أفكر ...

العم — إن الجزع لن يجدى عنك فتيلا

الجد (يشير إلى الباب عن يمين) — ألا يحتمل أن تسمعنا ؟

الأب — لن تتحدث بصوت مرتفع ، والباب فوق ذلك سميك . وهناك الممرضة (أخت الرحمة) وإنها لكفيلة بتنبيهنا لو أثرنا ضجة عالية

الجد (يشير إلى الباب عن يسار) — ألا يحتمل أن يسمعنا ؟

الأب — كلا ، كلا

الجد — أهو نائم ؟

الأب — هكذا أظن

الجد — من الخير أن يذهب أحد غيري

العم — إن الوليد يثير إشفاقي أكثر مما تثيره زوجك . لقد مضت الأسابيع منذ ولد ولا يكاد يتحرك ! وما صاح صيحة واحدة في هذه المدة ! ألا إنه أيشبه الدمية من الشمع

الجد — أحسب أن سيكون أصم — وقد يكون أبكم أيضاً — وتلك عاقبة الزواج بين أبناء العم ... (صمت استياء)

الأب — لكأني أريد له الشر ؛ فقد سام أمه سوء العذاب

العم — تعقل ، فليس الذنب للكأن الشقي الضاوي . أو تراه في الحجرة وحده ؟

الأب — نعم . فالطبيب يمنع أن يكون هو والأم في حجرة

العم — ولكن المرضع معه ؟

الأب — لا ، بل ذهبت تستريح ، لشدما جهدت هذه الأيام الأواخر . أرسولا ، اذهبي فانظري أهو نائم

الابنة الكبرى — سمعاً يا أبت (تنهض البنات الثلاث ، ويقصدن إلى الحجرة عن يمين ، يداً في يد)

الأب — متى تقبل أختنا ؟

العم — أحسبها تقبل في نحو التاسعة

الأب — لقد مضت التاسعة . ليتها تقبل هذا المساء فزوجي تهفو إلى رؤيتها

العم — هي لاشك آتية . وستكون زيارتها هذه أول عهدها بهذا المكان

الأب — إنها لم تشهد البيت قط

العم — عسير عليها أن تبرح الدير

الأب — أتكون وحدها ؟

العم — أغلب الظن أن تصحبها راهبة فليس يؤذن لمن في الخروج منفردات

الأب — لكنها الرئيسة

العم — الخطر واحد على الجميع

الجد — ألا تشعرون بانزعاج ؟

العم — ولم نشعر بانزعاج ؟ وأي خير في ترديد هذا القول ؟ ألا إنه لم يعد أمر نخشاه ...

الجد — أختك أسن منك ؟

العم — هي أكبرنا سناً

الجد — لا أدري ماذا يؤلمني ؛ إني لأشعر باضطراب ، تمنيت لو أن أختك أقبلت !

العم — ستقبل ؛ إنها وعدت بالمجيء

الجد — آه ، لو انتهى هذا المساء !

(تعود البنات الثلاث)

الأب — أهو نائم ؟

الابنة الكبرى — أجل ، يا أبت . إنه مستغرق في النوم

العم — بم نستعين على انتظارنا ؟

الجد — انتظار أي شيء ؟

العم — انتظار أختنا

الأب — أرسولا ، ألا ترين شيئاً مقبلا ؟

الابنة الكبرى (لدى النافذة) — لاشيء يا أبت

الأب — ولا في الشارع ؟ أتبصرين الشارع ؟

الابنة الكبرى — أجل يا أبت ، فضوء القمر

يسطع ، وإنى لأرى الشارع إلى مدى غابة السرو

الجدّ — ولا ترين أحداً ؟

الابنة الكبرى — لا يا جدّى ، لا أحد

العم — كيف ترين الليلة ؟

الابنة الكبرى — جدّ فاتنة ، أتسمع البلابل ؟

العمّ — أجل ، أجل

الابنة الكبرى — إن ريحاً واهنة تهبّ على الشارع

الجدّ — ريح واهنة على الشارع ؟

الابنة الكبرى — أجل ؛ فالأشجار تهتز هوناً

العمّ — أعجب لأختى ، كيف لم تأت بعد !

الجدّ — ما عدت أسمع البلابل

الابنة الكبرى — إخال أحداً يا جدّى قد دلف إلى الحديقة

الجدّ — من ؟

الابنة الكبرى — لا أدرى ، لست أرى أحداً

العم — إذن لا أحد

الابنة الكبرى — إنّ أحداً فى الحديقة لامراء ؛ فالبلابل أمسكت عن شدوها فجأة

الجدّ — ولكن لا أسمع أحداً يقبل

الابنة — إن أحداً يمر على البركة لا شك ؛ فالوزّ قد اضطرب

ابنة أخرى — كل الأسماك فى البركة تغطس فجأة

الأب — ألا ترين أحداً ؟

الابنة الكبرى — لا يا أبت ، لا أحد

الأب — ولكن البركة فى ضوء القمر

الابنة الكبرى — أجل ؛ وإنى لأرى الإوزّ مهتاجة

العم — لا أرتاب فى أنها أختى التى راعتها .

وإنها لا بد قد دخلت من الباب الصغير

الأب — لا أدرى لم لا تنبح الكلاب ؟

الابنة — إنى لأرى الكلب خلف مأواه ، وها هى ذى الإوز تعبر إلى الضفة الأخرى !

العم — إنها لشفقة من أختى ! إنى ذاهب أستطلع . (يهتف) أختى . أختى ! أنت هنا ؟ ... ما من أحد

الابنة — إنى على ثقة بأن أحداً ولج الحديقة ؛ ولسوف ترى

العم — ولكنها كانت تجيبنى !

الجد — أما عادت البلابل تصدح ، يا أرسولا ؟

الابنة — لا أسمع منها صادحاً فى مكان

الجد — ولكن لا ضجّة

الابنة — ثم صمت مثل صمت الرمس

الجد — إن من روعها غريب لا شك ، فلو أنه من الأسرة لما كفت عن سجعها

العم — إلى متى تبحث عن رعناء البلابل ؟

الجد — أكل النوافذ مفتوحة يا أرسولا ؟

الابنة — إن الباب الزجاج مفتوح يا جدى

الجد — لكأن البرد ينفذ إلى الحجرة

الابنة — فى الحديقة يا جدى ريح واهنة ، والورود منتثرة أوراقها

الأب — خير . أوصدى الباب ، فالليل تقدم

الابنة — سمعاً يا أبت . . . . لا أستطيع إيصاد الباب

الجد — له ؟ ما للباب يا ولدى ؟

العم — ليس ما يدعو لهتافك على هذا النحو الغريب . إنى ذاهب أشد أزرهن

الابنة الكبرى — لا يتهيأ لنا أن نحكم إيصاده

العم — ذلك أثر الندى . فلندفعنّه جميعاً ...
لا بد أن شيئاً يعترضه
الأب — فى غد يصلحه النجار
الجد — أيأتى النجار فى غد ؟
الابنة — نعم يا جدى . إنه آت ليؤدى فى القبو بعض الأعمال
الجد — إنه باعث فى البيت ضجة
الابنة — سأسأله الرفق فى عمله . (يسمع فجأة من الخارج صوت منجل يشحذ)
الجد (راجفاً) — واها !
العم — ما هذا ؟
الابنة — لا أدرى على الحقيقة ، وإنما أحسبه البستانى . لست أراه فى وضوح ، فإنه لفى ظل البيت
الأب — إنه البستانى ذاهباً يحصد
العم — أيحصد فى الليل ؟
الأب — أليس غدا الأحد ؟ أجل ، وقد تبين لى أن الكلأ فيما حول الدار جد طويل
الجد — إن منجله باعث للضجة ...
الابنة — إنه يشحذ قريباً من الدار
الجد — أتنظرينه يا أرسولا ؟
الابنة — لا يا جدى ؟ إنه لقائم فى الظلام
الجد — أخشى أن يوقظ ابنتى
العم — إنا لا نكاد نسمعه
الجد — كأنه يشحذ فى البيت
العم — لن تسمعه المريضة ؛ فليس ثمة ضير
الأب — لا أرى المصباح يشتعل هذا المساء اشتعالاً حسناً
العم — يعوزه أن يملأ
الأب — لقد رأيته يملأ فى هذا الصباح . إن اشتعاله قد ساء منذ غلّقت النافذة
العم — لعل الداخنة متسخة
الأب — سيشتعل أحسن مما كان فورا
الابنة — جدي أخذته سنة . إنه لم ينم سواد ليال ثلاث
الأب — لقد انزعج
العم — إنه منزعج أبداً . وإنه أحياناً لا يصيخ للعقل سمعاً
الأب — غُفِر هذا لمن كان فى سنه
العم — يعلم الله كيف نكون فى سنه
الأب — إنه قريب من الثمانين
العم — إذن حق له أن يبدو غريباً
الأب — إنه كسائر المكفوفين
العم — ما أكثر ما يطيلون الفكر !
الأب — إنهم ليجدون من الوقت فسحة
العم — إذ لا شىء آخر يأتونه
الأب — وليس إلى ذلك ما يشغلهم
العم — ذلك لا ريب هو أشد البلاء
الأب — إن المرء ليألفه فيما يظهر
العم — لا أحسب
الأب — إنهم لا شك يستحقون الرثاء
العم — ما أفظع ألا يعرف الإنسان أين يكون ولا من أين جاء ، ولا إلى أين يذهب ؛ وألا يستطيع تمييز الضحى من الليل والشتاء من الصيف ؛ ظلام على ظلام ! بلى إنى أوثر الموت عليه ، فإنه الداء العضال
الأب — فى الظاهر
العم — ولكن لم يُكتَفّ بصره أجمع
الأب — ليس يلمح إلا ساطع النور

العم — فلنعن إذن بنواظرنا الضعيفة

الأب — عجيبة خواطره على الأغلب

العم — وهو فى بعض الأحيان أبعد ما يكون عن الظرف

الأب — إنه ليعلن كل ما هجس فى خاطره

العم — ألم يكن ذلك دأبه ؟

الأب — كلا ، إنه حيناً من الأحيان كان مثلنا عاقلاً ، ولم يكن يلفظ من القول غريباً ، وأخشى أن تكون أرسولا تحدوه إلى ذلك ، فهي تجيبه عن كل ما يسأل

العم — الخير ألا يمار قوله التفاتاً . إنها الشفقة تخرجه عن محجة الصواب

(تدق الساعة عشراً)

الجد (صاحياً) — ترى ! أوجهى شطر الباب الزجاج ؟

الابنة — لقد نمت يا جدّى نوماً حسناً

الجدّ — تري! أوجهي شطر الباب الزجاج ؟

الابنة — نعم يا جدى

الجد — أليس أحد لدى الباب ؟

الابنة — لا يا جدى ، لا أرى أحداً

الجد — حسبت أحداً ينتظر . أو لم يقبل أحد؟

الابنة — لا يا جدى ، لا أحد

الجد (للعم والأب) — وأختكما؟ ألم تقبل؟

العم — إن الليل تقدم ، فلن تأتي . ألا إنها قد أساءت فعلاً

الأب — لقد أصبحت الآن مشغلتى الشاغلة

(ضجة ، كأن أحداً يدخل البيت)

العم — إنها هنا ! أتسمعون ؟

الأب — أجل لقد ولج الطابق الأسفل أحدما

العم — هى لا شك أختنا ، لقد ميزت خطوها

الجد — سمعت خطى وئيدة

الأب — لقد دخلت فى رفق

العم — إنها لتعلم أن ثمة مريضة

الجد — لا أسمع الآن شيئاً

العم — إنها صاعدة رأساً فسيخبرونها بموضعنا

الأب — لقد سرنى مجيئها

العم — لم تداخلنى الشبهة فى أنها مقبلة

الجد — لقد طال صعودها

العم — إنها لا ريب هى !

الأب — لسنا نتوقع زائراً غيرها

الجد — لا أسمع فى الطابق الأسفل صوتاً

الأب — سأدعو الخادم فنحيط بكل شىء علماً

(يشد حبل الجرس)

الجد — أسمع صوتاً على الدرج

الأب — إنها الخادم صاعدة

الجد — لكأنها ليست بمفردها

الأب — إنها صاعدة رويداً ...

الجد — أسمع وطء أختكما !

الأب — لا أسمع غير الخادم

الجد — بل هى أختك ، إنها أختك .

(ثم طرق الباب)

العم — إنها تطرق باب السلم من خلف

الأب — إني ذاهب أفتحه (يفتح الباب الصغير بعض الشىء ، وتظل الخادم خلفه) أين أنت ؟

الخادم — ها أنا ذى يا سيدى

الجد — أختك لدي الباب ؟

العم — لا أرى سوى الخادم

الأب — ليس إلا الخادم . (للخادم) من ذا دخل البيت ؟

الخادم — دخل البيت ؟

الأب — أجل ؛ لقد دخل الآن أحد ما

الخادم — لم يدخل أحد يا سيدى

الجد — من ذا الذي تنهد هذا التنهد ؟

العم — هى الخادم ؛ إنها مبهورة النفس

الجد — أهى تبكى ؟

العم — لا ، ولم تبكى ؟

الأب (للخادم) — ألم يدخل الآن أحد ؟

الخادم — لا يا سيدى

الأب — ولكن سمعنا أحداً يفتح الباب :

الخادم — لا يا سيدى

الأب — ولكن سمعنا أحداً يفتح الباب !

الخادم — كنت أنا أغلق الباب ...

الأب — أكان مفتوحاً ؟

الخادم — أجل ياسيدى

الأب — ولمْ كان مفتوحاً هذه الساعة من الليل ؟

الخادم — لا أدرى يا سيدى . والحق أنى غلقته بنفسى

الأب — إذن من فتحه ؟

الخادم — لا أدرى يا سيدى . ولعل أحداً يا سيدى قد خرج من بعدى ...

الأب — حاذرى . لا تدفعى الباب ، فأنت تعلمين كم يثير من ضجة

الخادم — ولكنى يا سيدى ما لمست الباب

الأب — بل تدفعينه ؛ وتدفعينه كما لو أردت دخول الحجرة

الخادم — ولكني يا سيدى أبعد كثيراً من الباب ...

الأب — لا يعل هكذا صوتك ...

الجد — أيطفئون النور ؟

الابنة الكبرى — لا يا جدى

الجد — لكأن حلكة الظلام قد انتشرت ، على حين بغتة

الأب (للخادم) — فلتنزلى الآن ، ولكن لا تبعثى على الدرج ضوضاء عالية

الخادم — إنى لا أبعث على الدرج أدنى الصوت

الأب — بل أقول إنك بعثت الضجة عالية ؛ فانزلى فى هدوء حتى لا تصحو مولاتك . وإذا أقبل الآن أحد فقولى لسنا هنا

الجد (واجفا) — لا تقولى هذا القول !

الأب — .. إلا أن تكون أختى ، أو يكون الطبيب

العم — متى يجىء الطبيب ؟

الأب — لن يستطيع المجىء قبل انتصاف الليل

(يوصد الباب ، وتسمع ساعة تدق الحادية عشرة)

الجد — دخلت ؟

الأب — من ؟

الجد — الخادم

الأب — كلا ، بل لقد نزلت

الجد — حسبتها جالسة إلى الخوان

العم — الخادم ؟

الجد — أجل

العم — كانت تكمل بهذا سعادتنا !

الجد — ألم يدخل الحجرة أحد ؟

الأب — لا ، لم يدخل أحد

الجد — وليست هنا أختك ؟

العم — أختنا لم تأت

الجد — تريدون خداعى

العم — خداعك ؟

الجد — يا أرسولا : خبرينى الحق نشدتك الله

الابنة الكبرى — جدى ! جدى ! مابالك ؟

الجد — إن أمراً قد حدث . أيقنت أن ابنتى ساءت حالاً

العم — أتحلم ؟

الجدّ — بل تخفون عنى الحقّ ، فان أمراً قد حدث ، ما فى ذلك ريب

العم — أما هذا فأنت أبصر به منا !

الجد — يا أرسولا ، أصدقينى !

الابنة — ولكنى صدقتك يا جدى !

الجد — لست ناطقة بصوتك المعهود

العم — لأنك ترعبها

الجد — وصوتك أيضاً تغير

الأب — لقد أصابك الخبل ! (يتبادل الايماء والعم بأن الجد قد مسه الجنون)

الجد — أسمعكم حق السمع ، خائفين

العم — ولكن م نخاف ؟

الجد — لم تريدون خداعى ؟

العم — من يفكر فى خداعك ؟

الجد — لم أطفأتم النور ؟

العم — ولكن النور لم يطفأ ، ولم يزل موفور الضوء مثلما كان

الابنة — كأنّ المصباح قد خمد

الأب — ولكن عينىّ كما كانتا من قبل تنظران

الجد — على عينىّ أحجار الرحى ! فخبرن ياصبايا ماذا يجرى هنا ! خبّرن بالله يا من تبصرن ! ألا إنى وحدى فى ظلام ما إن له من نهاية ، فلا أدرى من ذا يجلس بجانبى ، ولا أدرى ماذا يحدث حولى غير بعيد ! ... ... ولم يا ترى تتهامسون ؟

الأب — ما كان أحد يهمس

الجد — لقد تكلمت لدى الباب همساً

الأب — لقد سمعت كل حديثى

— الجد — لقد أدخلت أحداً إلى الحجرة !

الأب — ولكنى أنبئك أنه لم يدخل أحد

الجد — أهى أختك أم راهب . لا يحسن بك أن تخدعنى . من دخل ، يا أرسولا ؟

الابنة الكبرى — لا أحد يا جدي

الجد — لا ينبغى لك أن تخادعينى ، فانى لأعلم ما أعلم . كم نحن هنا ؟

الابنة — ستة يا جدى ، حول المائدة

الجد — أكلكم حول المائدة ؟

الابنة — نعم يا جدى

الجد — أنت هنا يا بول ؟

الأب — نعم

الجد — أنت هنا يا أوليفر ؟

العم — أجل ، (بالطبع) إنى هنا فى مكانى المعهود . وليس ذلك مدعاة للروع أتراه قد روعك؟

الجد — أنت هنا يا جنفياف ؟

إحدى البنات — نعم يا جدى

الجد — أنت هنا يا جرترود ؟

ابنة أخرى — نعم يا جدى

الجد — أنت هنا يا أرسولا ؟

الابنة الكبرى — نعم يا جدى ، إلى جانبك

الجد — ومن الجالس هنا ؟

الابنة الكبرى — أين تعنى يا جدى ؟

الجد — هنا ، هنا ، إلى الخوان

الابنة الكبرى — ولكن يا جدى لا أحد

الجد — بل ثمة أحد ، ثمة أحد !

العم — أراك تمزح

الجد — ألا فلتعلم حق العلم أنى لزاهد فى المزاح

العم — إذن فصدق المبصرين

الجد (مرتاباً) — حسبت أن ثم أحد. فى رأيى أن لن أعيش طويلا ...

العم — لم نخدعك ؟ أى نفع فى خداعك ؟

الأب — فرض علينا أن نفضى إليك بالحق

العم — أى خير فى أن يخادع بعضنا بعضاً ؟

الأب — إن المرء لا تطول خدعته

الجد (يحاول النهوض) — تمنيت لو أمزق من حولى حجب الظلام !

الأب — أين تقصد ؟

الجد — هناك ...

الأب — لا تجزع إلى هذا الحد

العم — ألا إنك لغريب هذه الليلة

الجد — إنما أنتم الأغراب تبدون

الأب — أتريد شيئاً ؟

الجد — لا أدرى ما ذا يؤلمنى

الابنة الكبرى — جدى ! جدى ! ما ذا تريد يا جدى ؟

الجد — هاتن يا بناتى أيديكن الصغيرة !

البنات الثلاث — لبّيك يا جدى

الجد — لم ترعدن جميعاً ؟

الابنة الكبرى — إنا يا جدى لم نرتعد قط

الجد — أتخلن جميعاً شاحبات

الابنة الكبرى — لقد تأخر المساء يا جدي وإنا لمتعبات

الأب — نخير لكن أن تذهبن إلى المضاجع وخير لجدكن لو استراح شيئاً

الجد — الليلة عز رقادى !

العم — سننتظر الطبيب

الجد — فتهيأوا للحق !

العم — ليس هنالك حق !

الجد — إذن فلا أدرى ما هنالك !

العم — قلت لك ما من شىء قط

الجد — وددت لو أرى ابنتى التاعسة

الأب — تعلم أنك تروم عسيراً

العم — ستراها من غد

الجد — لا صوت فى حجرتها

العم — لو سمعت صوتاً لأشفقت

الجد — لقد طال عهدى برؤية ابنتى ! ... لقد تناولت يدها ليلة أمس ، بيد أنى لم أرها ! ... فما أعلم ماذا حل بها ... وما أعلم كيف هى ... وما أعلم كيف يبدو الآن وجهها — ولكن لا شك أنها تغيرت هذه الأسابيع ! فقد لمست عظام وجنتيها الصغار تحت يدى . ولا غير الظلام بينها وبينكم أجمعين وبينى ! . ولعمر الحق أنى سئمت هذه الحياة وضقت بها ذرعاً ! بل ما هذه بالحياة ، فانكم لتجلسون جميعاً فتشخصون بأعين منيرة إلى عينىّ المكفوفتين ثم لا تأخذكم بى الرحمة ! ، أما أنا فلا تدرى نفسى ما ذا يؤلمنى ، ولا أحد ينبئنى بما أعلم علمه — وكل شىء مروع ما علقت به أوهام الانسان ولكن ما بالكم لا تلفظون ؟

العم — وماعسى أن نقول ما دمت لا تؤمن لنا؟

الجد — إنكم لتخشون مخادعة أنفسكم !

الأب — مهلاً ، ألا ترشد !

الجد — إنكم تسرون عنى أمراً منذ بعيد ... ! لقد وقع فى البيت حدث ... ولقد بدأت اليوم أفهم بعد أن طالت خدعتى ... ! أو تحسبون أنى لا أعلم قط شيئاً ؟ ألا يا رُب لحظات عدت فيها أقل منكم عمى ؟ أو تحسبون أنى ما سمعتكم تتهامسون أياماً وأياماً ، وكأنما ضمكم بيت إنسان مغلق ؟ ألا يارُب حق علمته ولا أجرؤ اليوم على الافضاء به ... ولكنى

سأنتظر ، وسأنتظر حتى تبوحوا بما قد علمته منذ أمد طويل ! والآن فإنى أتمثلكم شاحبين كالموتى ، أو أشد اصفراراً

البنات الثلاث — جدى ! جدى ! ما بالك يا جدى ؟

الجد — ليس عنكن أتكلم ياولدى . لا،ليس عنكن ، فما كنتن بالحق باخلات وإن ضنوا به ! بل إنهم ليمكرون بأنفسكن فى رأيي ... ... ولسوف تشهدن ياولدى ... لسوف تشهدن ! ... ألا أسمكم تبكون أجمعين

الأب — أزوجى إلى هذا الجد مريضة ؟

الجد — عبثاً تخادعنى . لقد فات الأوان فانى لأعلم من جلية الأمر فوق الذى تعلمون

العم — ولكن لسنا مكفوفى البصر ؛ لسنا مكفوفين

الأب — أتحب أن ترى ابنتك ؟ فانه لا بد من حسم هذا الشك ... أتحب ؟

الجد (يعود فجأة إلى الشك) — لا ، لا ، ليس بعد . ليس بعد

العم — فانظر كيف لا تلقى السمع إلى العقل

الجد — هيهات أن يقدر امرؤ مدى إدراك الانسان فى هذه الحياة ... مَن أثار هذه الضجة ؟

الابنة الكبرى — إنه المصباح يرف يا جدى

الجد — إنى لأراه كثير التقلب ، كثير التقلب

الابنة — إنها الريح الباردة ؛ فهى تعابثه

العم — ليس ثمة ريح باردة ، فالنوافذ موصدة

الابنة — أحسبه سينطفئ

الأب — لم يعد فيه من زيت

الابنة — لقد انطفأ

الأب — لا نستطيع البقاء على هذه الحالة ، فى الظلام

العم — ما يمنع ؟ إنى لآلفه كل الايلاف

الأب — ثم ضوء فى حجرة زوجى

العم — سنأخذه منها بعد ذهاب الطبيب

الأب — خير ؛ لانزال نبصر ؛ فثمّ ضوء من الخارج .

الجدّ — أفى الخارج نور؟

الأب — أضوأ من هنا .

العمّ — أما أنا فأحبّ سامر الظلام .

الأب — وكذلك أنا . (صمت)

الجدّ — يبدو لى أن الساعة عالٍ صوتها .

الابنة الكبرى — ذلك ياجدى لما لذنا به من الصمت

الجد — ولكن لم يشملكم الصمت جميعا ؟

العم — وفيم تريد أن نتحدث ؟ — ألا إنك هذه الليلة جد غريب .

الجد — أترى الظلام فى هذه الحجرة جد حالك

العم — لا ، نور وضيء .

الجد — إنى ضيق الصدر ، ياأرسولا ، فافتحى النافذة قليلا .

الأب — أجل يابنتى ، افتحى النافذة قليلا ، فأنا الآخر أشعر بحاجتى للهواء . (تفتح الابنة النافذة)

العم — لقد احتبسنا طويلا ، فيما أرى .

الجد — هل فتحت النافذة ؟

الابنة — نعم ياجدى ؛ إنها مفتوحة على مصراعيها .

الجد — لكأنها لم تفتح ، فلا صوت فى الخارج .

الابنة — لا ياجدى ، ليس أدنى صوت .

الأب — إن الصمت لعجب !

الابنة — كاد يسمع المرء حفيف الملاك !

العم — ومن أجل ذلك لا أحب الريف .

الجد — وددت لو أسمع صوتا . كم الساعة ياأرسولا ؟ .

الابنة — سيكون منتصف الليل وشيكا ياجدى

(هنا لمك يغدو العم فى الحجرة ويروح .)

الجد — من ذا يمشى حولنا هكذا ؟

العم — ليس غيرى ! فلا تخف ! لقد أحببت المشى قليلا (صمت) — ولكنى سأجلس ؛ فلست أري ممشاى . (صمت)

الجد — وددت لو أزايل هذا المكان !

الابنة — إلى أين تقصد ياجدى ؟

الجد — لا أدرى إلى أين — إلى حجرة أخري ؛ لا أبالى أين ! لا أبالى أين !

الأب — أين تذهب ؟

العم — إن الوقت جد متأخر ؛ فلا انتقال من هذا المكان . (صمت . يجلسون حول المائدة ، بلاحراك .)

الجد — ما هذا الذى أسمع ياأرسولا ؟

الابنة — لاشىء ياجدى ؛ إنها أوراق الشجرة منتثرة . أجل ، إنها أوراق الشجرة متناثرة على المشرف

الجد — اذهبى فاغلقى النافذة ياأرسولا .

الابنة — سمعاً ياجدى . (تغلق النافذة وتعود فتجلس .)

الجد — إنى لأنتفض من البرد (صمت تقبل الأخوات الثلاث إحداهن الأخرى) ما الذى أسمع ؟

الأب — هؤلاء الأخوات الثلاث ، يتهادين القُبَل

العم — أراهن الليلة جدّ شاحبات (صمت)

الجد — ماذا أسمع يا أرسولا ؟

الابنة — لا شىء يا جدى . إنما شبكت يدى (صمت)

الجد — وماذا ؟

الابنة — لا أدرى يا جدى ... لعل أختى راجفتان هوناً ما

الجد — إنى كذلك خائف يا ولدي . (هنالك ينفذ من خلل الزجاج الملون شعاع من القمر يلقى ومضات غريبة فى الحجرة . دقات ساعة تؤذن بانتصاف الليل ، ولدى الدقة الأخيرة ينبعث صوت جد مبهم ؛ وكأن أحداً يعجل بالنهوض)

الجد — (يرتعد من فرط الروع) من ذا الذى نهض ؟

العم — لم ينهض أحد !

الأب — إنى لم أنهض

البنات الثلاث — ولا أنا ـ ولا أنا ـ ولا أنا

الجد — لقد نهض أحد من على المائدة !

العم — أضيئوا المصباح !

(يسمع فجأة من غرفة الطفل عن يمين صيحات رعب وتتصل هذه الصيحات مع الروع الذى يزداد إلى نهاية المنظر)

الأب — اسمعوا الطفل !

العم — ما سبق له قط أن صاح !

الأب — فلنذهب نره !

العم — النور ! النور !

(فى هذه اللحظة يسمع فى الغرفة عن يسار خطى معجلة ثقيلة الوطء ، وبعدها صمت هو صمت الموت . يصغون فى رعب لا ينبسون حتى يفتح وليد باب الغرفة ويشيع منها الضوء إلى الحجرة التى يجلسون فيها ؛ ثم تظهر لدى الباب أخت الرحمة فى كساها السود ، فتنحني راسمة علامة الصليب تتبعى الزوج . يدركون ، وبعد لحظة من الذهول والفزع يدخلون حجرة الموت ساكتين ، بينا العم ينحى جانب الباب ليفسح الطريق للبنات الثلاث . أما الشيخ وقد غودر وحده فينهض مهتاجاً ، ويتلمس الطريق حول المائدة ، وسط الظلام .)

الجد — أين تذهبون ؟ أين تذهبون ؟ لقد انفض من حولى الصبايا ، وليس من أحد !

(روما) محمد أمين

الفتاة القروية

للقصصي الروسي بوشكين

بقلم السيد عز الدين عزوزي

يقع منزل « إيفان برستوف » فى إقليم من أقاليم روسيا النائية ، وكان هذا الرجل يشتغل فى أيام شبابه فى حراسة القيصر ، ولكنه ترك هذا العمل فى أوائل عام ١٧٩٧ ، وجاء إلى أراضيه وأخذ يعمل فى إحيائها ويقضى فيها ما تبقى من أيام حياته

كانت زوجته سيدة نبيلة ، ولكنها فقيرة ، وقد توفيت أثناء رحلة كان رحلها فى سهوله الواسعة. وبعد أن نسى الحزن الذي تركه فقدها فى نفسه شيد منزلاً فخماً ومصنعاً للأقمشة ، وصار بذلك الرجل المحترم والسيد النبيل فى ذلك الاقليم ؛ وكان نزول الجيران ضيوفاً عليه مع أولادهم وكلابهم مما يؤكد فى نفسه هذه المنزلة ويثبتها

أما ما يلبسه طيلة الأسبوع فهى صدارة من القطيفة أرجوانية اللون ، وفى أيام العيد « رداء جوت » من صنع مصنعه

كان « برستوف » محبوباً من أهل قريته رغم مظهره المتكبر ، وتقطيبه الطويل ؛ ولكن « مورمسكى » أقرب جيرانه إليه لم يكن يحبه ، ولا يستطيع محادثته أو الاجتماع به ، لأن « مورمسكى » يرى أنه أرفع منه قدراً ، وأعظم جاهاً ، وهو الآن أرمل قد بذر القسم الأكبر من أمواله فى « موسكو » وجاء الآن ليقيم فى بيته القروى آخر ما تبقى له من العقار ؛ وكان فى أخلاقه شذوذ غريب ، فهو ينفق كثيراً من دخله على حديقة يزرعها على « الطريقة الانكليزية » ولا يرضى بأن تكون مربية ابنته إلا آنسة انكليزية المحتد ، ولا يزرع حقوله الشاسعة إلا على الطريقة الانكليزية ، « ولكن القمح الروسى لا يؤتى أكله إذا زرع على الطريقة الانكليزية »(١) ومقابل هذا النقص المتواصل فى أحواله فان مدخوله لم يزد مطلقاً على ما كان عليه منذ زمن بعيد . وهو رغم إقامته فى تلك القرية المتواضعة لم يستطع العيش دون أن يستدين بالربا الفاحش ؛ وعلى كل حال فقد كان رجلاً محترماً يوقره الكبير والصغير

كان « برستوف » شديد القسوة في معاملة منتقدى عاداته وأخلاقه ، وكان يجد فى عادات جاره المتفرنج مجالا واسعاً للتهكم والسخرية ! وإذا أحب أحد ضيوفه البذخ والترف خاطبه وفى ثغره ابتسامة ماكرة خبيثة قائلا له : « إنك هنا غير ما لو كنت عند جارى مورمسكى ، فأنا لا أحب أن أقلد الانكليز فى معيشتهم فأتلف بذلك أموالى . يكفينى ما أنا عليه ، وما كان عليه آبائى الكرام . » وكان بعض الجيران ينقل إلى « مورمسكى » ما يقوله عنه جاره ، ولكنهم لا ينقلون ما قاله « برستوف » فقط ، بل يزيدون فيه كثيراً ويجعلون من الحبة قبة حتى ان « مورمسكى » تهيج ثائرة نفسه فيأخذ فى سب جاره وشتمه ورميه بأبشع الصفات كأن يقول عنه إنه « دب » وإنه رجل قروى ابن قروى !

هكذا كانت العلاقات بين الجارين عند ما جاء

(١) مثل روسى

« الكسي » إلى قرية أبيه، بعد أن تخرج من الجامعة وكان يميل إلى الدخول فى المدرسه الحربية رغم أن ذلك الميل كان مما لا يحبه أبوه ، وظل كل متمسكا برأيه لا يلين لإرادة الآخر ، وعبثا حاول والده إقناعه بأن العمل فى دواوين الحكومة خير من العمل فى الجندية ، ولكنه صمم أخيراً أن يترك الأيام تفعل ما تشاء ، فلم يذهب إلى المدرسة الحربية ولم يعمل فى دواوين الحكومة ، وإنما ظل فى منزل أبيه يحياحياة بوهيمية ، وترك العنان لشاربيه فنموا نمواً هائلا وانتشرا فى كل صوب .

كان « الكسي » ولد « ايفان برستون » شابا لطيفاً ذا قامة رشيقه متماسكة الأطراف جديرة بأن تمارس الأعمال الحربية ، ومانظر إليه أحد وهو على صهوة جواده إلا اختار له أن يكون فى الجيش أو فى ساحة الحرب . ولم يقل أحد من الناس إن هذا الشاب القوى خليق بأن يجلس وراء مكتب الديوان طيلة يومه . وكانت صبايا القرية لا يملن النظر إليه والحديث عنه ، وهو غير مكترث بهن لا يلتفت إليهن ولا يلقى عليهن تحية، فزعمن أنه مأخوذ بحب فتاة فى موسكو . وقالت إحداهن : لقد رأيته يضع رسالة فى البريد مكتوبا على ظهرها « إلى الآنسة اكولينا بتروفنا كورنشكينا فى موسكو . »

* * *

إن الذين لم يسعدهم الحظ بأن يعيشوا زمنا فى القري لا يمكنهم أن يدركوا ما عليه أولئك الفتيات من الجمال . انهن يمشين فى الهواء الطلق وفى ظلال التفاح ولا يعرفن العالم والحياة إلا من وراء الكتب التى تصل إلى أيديهن ؛ وإن الوحدة والحرية والمطالعة تنمى فيهن شعوراً وأهواء ، وتخلق منهن فتيات أين منهن فتيات المدن فى جالهن الرائل ، وشعورهن النذل وأهواؤهن المتطرفة .

إن دقات الناقوس يوم الأحد تخلق فى مخيلتهن حوادث شتى ، وان رحلة يقمن بها إلى القرية المجاورة لقريتهن هى يوم من أيام فى حياتهن يؤرخن به حوادث المستقبل وسوالف الماضى ، وإن نزول ضيف عليهن يترك فى نفوسهن ذكرى خالدة تنزل معهن إلى القبر .

كثير من الناس من يجد فى عادات أهل القرى مجالا واسعاً للسخرية والتهكم ، ولكن رأى هؤلاء الناس سيظل دون أى تأثير على الحقائق الواقعية التى قوامها عند هذه النفوس البريئة : الأخلاق ، والسعادة الفردية التى لولاها لم يكن للانسانية عظمة تفاخر بها عن جدارة واستحقاق !

إنه لمن السهل أن تجد فى المدن والعواصم نساء هن على قدر عظيم من الثقافة ، ولكن الحياة سوت بين هذه الفوارق وجعلت قيمة المرأة بمقدار جمالها وزينتها

* * *

يا قارئى المحبوب ، من اليسير عليك أن تدرك أى تأثير كان لألكسي في نفوس هؤلاء الفتيات، فقد كان أول شاب رأين فيه من النموض ما لم يستطعن فهمه ، ومن الكآبة ما لم يدركن كنهها. والمرة الأولى تحدث هؤلاء الفتيات عن الأفراح المولية ، والشباب الذابل ، والأمل المفقود !

كان الكسي يلبس فى خنصره خاتماً أسود عليه صورة رأس رجل ميت ، فكان ذلك الخاتم يسترعى أنظار أهل القرية ، ويجعل الفتيات أكثر تعلقاً به وشغفاً إلى معرفته . أما التى أولعت به ولوعا

جداً فهي ابنة جاره الذي كان يحب أن يعيش على النمط الانكليزي واسمها « ليزا »

لم تر « ليزا » حتى الآن وجه ألكسي رغم أن الفتيات رأينه كلهن . كانت ليزا في السابعة عشرة من عمرها ذات عينين فيهما دعج يزيد في جاذبية وجهها الأسمر ، ولم يكن لأبيها خلف غيرها فكانت لذلك مدللة منه محببة إليه ، حتى أودى هذا الدلال بكثير من خصالها الحيدة . وكانت في حيويتها تسحر والدها فلا يدري بأي شيء يزجرها إذا أخطأت أو يكافئها إذا أحسنت ؛ وكادت مربيتها « مس جوكسون » تخرج عن طورها المعتاد رغم وقارها الملتزم وسنها الكبيرة . كان وجه هذه المربية كأنه مطلو بطلاء أبيض ، وعيناها كأن بهما كحلا أحمر ؛ وكان عمل هذه المربية أن تقرأ ال: Pamélat(١) مرتين في السنة ، وتتقاضى أجراً على هذا العمل مبلغاً قدره ألفان من « الروبلات » في السنة ، وهي رغم ذلك تزعم أنها ستنفجر من الضجر لوجودها في هذه البلاد البربرية

أما خادمة ليزا فاسمها « ناشيا » ، وهي فتاة تكبر بقليل سيدتها التي كانت تحبها حباً جماً وتبوح لها بكل أسرارها ، فلا تقوم بأي عمل دون أن تشاطرها رأيها فيه . وبالاختصار كانت « ناشيا » تمثل دوراً في (أمانة السر) لم نقرأ مثيله في أية مأساة فرنسية

* * *

قالت ناشيا وهي تلبس سيدتها ثوبها : أتأذنين لي بالخروج في هذا اليوم يا سيدتي ؟

— نعم ولكن أين تريدين الذهاب ؟

— إلى قرية (نو جيلومُسو) عند جيراننا آل « برستوف » ، فاليوم حفلة زفاف زوجة الطاهي ، ولقد جاءت البارحة ودعتنا لتناول طعام الغداء عندها

— إن أصحاب المنزل سيختلون مع ضيوفهم في غرف وحدهم ، وسيقرع الواحد منهم كأسه بكأس صاحبه ، فاذا كنت تودين الذهاب فاسألي والدي أن يسمح لك بذلك

— ما الذي يعنيني مما سيفعله أصحاب المنزل ؟ وأنا لك وحدك ولست لأبيك ، لندع الشيوخ الكبار عند مضيفنا يتنازعون ويعملون وحدهم ما يحبون

— لا بأس ، ولكن رجائي إليك أن تنظري « الكسي برستوف » جيداً وأن تخبريني عما ستجدين فيه من الصفات والخصال ساعة تعودين إليَّ

خرجت ناشيا وهي تعد سيدتها بأن تقوم بما طلبته منها . وظلت ليزا تنتظر عودتها طيلة النهار بفارغ الصبر . ولما عادت في المساء إلى غرفة سيدتها قالت لها : لقد رأيت الكسي الشاب واجتمعت به مدة طويلة وظللت معه طيلة النهار

فأجابتها سيدتها : وكيف كان ذلك ؟ تعالي قصي علي الخبر من أوله إلى آخره

— نعم ياسيدتي ، ذهبت في الصباح أنا و « أنيا » و « نانيلا » و « دونكا » ...

— نعم ... نعم ، أعرف ذلك ، ثم ماذا حدث ؟

— اسمعي ياسيدتي ، إني أحب أن أسرد عليك الحادثة من أولها . وصلنا عند الغداء تماماً ، وكانت الغرفة غاصة بالزائرين والزائرات وكان بينهم زوجة

(١) رواية شهيرة للأديب الانكليزي « ريكاردسن » تجيش بالعاطفة والأخلاق وتدور في موضوعها على خادمة فتية تنصر فضيلة نفسها على مكايدها السافلة ، وهي من أول ما وضع في القصص الحديث

« كلينو » وزوجة « زكهاريفو »

— والكسى برستوف ألم يكن بينكم ؟

— نعم ، ولكن لماذا تعجلين ؟ جلسنا إلى المائدة ، وجلست زوجة المدير فى الصدر وجلست أنا إلى جنبها فأخذ بناتها ينظرن إلي نظرات الحسد ولكنني لم أبال بهن

— إن هذه التفاصيل تزعجنى « يا ناشيا »

— ماأسرع ماتضجرين ياسيدتى ! ثم خرجنا من الغرفة بعد أن مكثنا فيها ثلاث ساعات ، حقاً لقد كانت مائدة فاخرة ، وبعد ذلك ذهبنا إلى الحديقة نلهو ونلعب وهناك رأيت الشاب ...

— هل هو جميل كما يقولون عنه ؟

— بل أكثر من ذلك ، إنه فوق ما تتصورين يا سيدتى ، إنه شاب جميل ، طويل القامة ممتلىء الجسم وردى الخدين ...

— وهل كنت أتصوره أصفر اللون هزيلا ؟ ولكن أريد أن تصفى لى مظهره ، هل هو حزين ؟ هل هو كثير التفكير والتأمل ؟

— أتظنين ذلك ؟ إننى لم أر فى حياتى كلها أكثر منه نشاطاً وحيوية . لقد ظل يركض ويلعب معنا طيلة اليوم ...

— ظل يركض ويلعب معكن طيلة اليوم ؟ إن هذا غير ممكن ! ...

— لماذا يا ترى ؟

— إذن قولى ماتريدينه « يا ناشيا » ماأراك إلا كاذبة

— ظنى بى ما تشائين ولكنى لا أكذب قط

— لماذا يقولون عنه إنه عاشق وإنه لا يلتفت إلى أحد وإنه وإنه ...

— هذا مالا أعرفه ياعزيزتى . كل الذى أستطيع أن أقوله لك هو أنه استرعى انتباهي وانتباه « تانيا » وابنة المدير

— إن هذا مما يثير فضولى يا عزيزتى ناشيا ، ماذا كان الناس يقولون عنه ؟

— كانوا يقولون إنه رجل طيب القلب كثير المرح ، نشيط ، ولم يلوموه إلا على شيء واحد : كثرة حبه للخادمات واتباعه لهن . ولكننى لا أرى فى هذا العمل ما يستحق اللوم . لا بد أنه سيهدأ فى يوم من الأيام

— « آه . . . ما أشد تشوق إلى رؤيته » قالتها وهى تتنفس الصعداء

— ما الذى يمنعك من ذلك يا عزيزتى ؟ إن قرية « نوجيلومشو » قريبة منا ، وإذا قمت بنزهة فى نواحى هذه القرية ، فأنا متأكدة من أنك ستجتمعين به ، إنه يخرج كل يوم إلى الصيد فى الصباح الباكر وهو متأبط بندقيته

— أتظنيننى أقوم بهذا العمل لكى يحسب أننى أحبه ؟ وهل نسيت ما بين أبى وأبيه من خلاف وعداوة ؟ أتدرين ماذا سأفعل يا ناشيا ؟

ما رأيك إذا لبست ثياب قروية وخرجت للاقائه ؟

— والله إنها لفكرة حسنة . البسى ملاءة من قماش سميك ، واذهبى دون أن تخافى إلى قرية « نوجيلومشو » وأنا متأكدة من أن الكسى سيعجب بك ، وأنه سيحبك

— وأيضاً أستطيع أن أتكلم بلهجة هذه القرية ! إنها يا ناشيا فكرة حسنة

نامت « لبزا » ليلتها تلك وهى مصممة على تنفيذ ما اتفقت عليه مع خادمتها . وفى الصباح

أرسلتها إلى السوق لتشتري لها قماشاً سميكاً كالذى تلبسه الفرويات ، أزرق اللون ، وأزراراً مصنوعة من قماش أصفر ، ثم ساعدتها ناشيا على تفصيل الملاءة ، وعملت جميع الخادمات فى خياطتها ، ولم يأت المساء حتى كان كل شيء جاهزاً

فأخذت «ليزا» ثوبها الجديد بين يديها وتأملته ثم لبسته ونظرت إلى نفسها في المرآة ، فوجدت أنها لم تكن فى حياتها أجمل مما هى عليه الآن ، وابتدأت تتمرن على تمثيل دورها فألقت تحية فى صوت خافت وهى سائرة ، ثم رفعت رأسها إلى جهة اليمين ثم إلى جهة الشمال وتكلمت كما تتكلم الفرويات ، وأخذت تضحك ، وسترت وجهها بطرف كمها

كان يزعجها فى هذا التمثيل شيء واحد ، هو أنها لم تستطع أن تتحمل وخز الأعشاب الشائكة ولا وخز الحصى الدقيق فى حديقة الدار . وهنا أيضاً جاءت « ناشيا » لمساعدتها فقاست طول قدمها وأخذت تبحث عن « روفيم » الراعى ، وطلبت منه أن يصنع لها زوجاً من الأحذية بعد أن أعطته القياس

قامت « ليزا » فى الصباح الباكر ونظرت فيما حولها فوجدت أن الجميع نائمون ، وأن « ناشيا » واقفة أمام رتاج الباب تترقب قدوم الراعى . وبعد لحظة سمعت صوت مزماره ورأت القطيع يمر أمام القصر ، ثم تقدم الراعى فأعطى ناشيا زوج الأحذية الفروية السميكة فناولته هذه خمسين « كوبك » ثمناً لها ، فانصرف إلى شأنه

أخذت « ليزا » ترتدى ثياب الفرويات فى صمت وهدوء خشية أن توقظ أهلها النائمين ، وهمست فى أذن ناشيا كلمات تتعلق بمربيتها «مس جوكسون» ثم خرجت من باب القصر الكبير واجتازت الحديقة وانطلقت تمدو فى الحقول الشاسعة

* * *

كان الفجر يلمع فى الناحية الشرقية والغيوم الذهبية متراصفة على الأفق كأنما تنتظر مطلع الشمس ، والسماء الصافية ، وبرودة الصباح ، والندى والنسيم العليل وصداح الأطيار ، كل ذلك أخذ يملأ قلب « ليزا » سعادة أين منها سعادة العالم كله !

لما وصلت « ليزا » إلى منتهى حقول والدها أخذت تسير على مهل بعد أن كانت مسرعة حتى لو أن أحداً رآها لظنها تطير فى الجو ولا تسير على الأرض . لقد كانت تخشى أن يراها أحد ممن تعرف

وفى هذا المكان جلست « ليزا » تنتظر قدوم الكسى ، فأحست أن قلبها يخفق خفقاناً شديداً ، ولم تستطع أن تجد لهذا الخفقان سبباً ، ولكن ، أليس هذا القلق الذى يصحب فراهة الشباب وطيشه هو السبب الأوحد فى جاذبية المرأة ؟

قامت ليزا من مكانها وسارت إلى ظل غيضة قريبة منها ، ثم شعرت كأنما حولها ضوضاء خفية تحيط بها من كل جانب ، فأخذت سعادتها الأولى تهدأ شيئاً بعد شيء ، ثم شرعت تحلم حلماً عذباً ... ترى نستطيع أن ندرك فى أى شيء تفكر فتاة فى السابعة عشرة من عمرها وهى جالسة وحدها فى غابة من الغابات وفى صباح يوم من أيام الربيع ؟ !

سارت ، وهى فى هذه النمرة الجميلة ، فى طريق ظليل بما حوله من الأشجار الباسقة ، فظهر أمامها فجأة كلب صيد جميل ، وأخذ ينبح ويعدو وراءها ؛ فذعرت «ليزا» وصاحت ، ثم سمعت صوتاً يقول :

لا تخافى ، تعال إلى هنا يا « سبوچار » ، ثم رأت صياداً شاباً يخرج من بين الادغال ويخاطبها قائلاً :

— لا تخافى أيتها الفتاة ، إن كلبي هـذا لا يعض أحداً

شعرت ليزا بالسكون يعود إليها فأحبت أن تستفيد من هذه الصدفة فقالت للصياد بصوت فيه شيء من الخوف والحياء :

— إننى أخاف رغم كل هذا . إن كلبك هذا مخيف ، وأحسب أنه سيلقى بنفسه علىّ ثانية

أخذ الكسى ينظر إلى هـذه القروية نظرة متفرس ، وقال لها :

— إذا كنت تخافين فانني أماشيك إلى حيث تريدين ، أتسمحين لى أن أسير بجنبك ؟

— من الذى يمنعك من ذلك ؟ إنك حر والطريق مشاع للجميع

— من أين أنتِ ؟

— من « پريلوتشن » إننى ابنة الحداد « فاسيلى » ، وقد خرجت لأجمع لوالدى قليلاً من الكمأة !

كانت ليزا تحمل على كتفيها سلة صغيرة مدلاة على ظهرها بحبل ، وهى ممسكة بطرفه الآخر

— وأنت ؟ ألست من قرية « نوجيلومسو » ؟

— نعم ، إننى من هذه القرية وأنا خادم البارون فيها

كان ألكسى يريد من قوله هذا أن ينزل إلى مستواها ، ولكنها نظرت إليه نظرة وضحكت ثم قالت له : « إنك تكذب ؛ لست بلهاء إلى هذا الحد وإننى لا أشك فى أنك ابن البارون نفسه »

— ما الذى جعلك تعتقدين ذلك ؟

— كل ما أراه فيك يدل على أنك ولد البارون

— ... ولكن ... ؟

— أتحسب أننى لا أستطيع أن أميز السيد من الخادم ؟ إن لباسك غير لباسنا ، ولقد كلمت كلبك الآن بلغة غير اللغة الروسية

كان لهذه الكلمات وقع حسن فى نفس « ألكسي » فزاد شغفه بها وتقدم نحوها يريد أخذها بين يديه فارتدت إلى الوراء بسرعة ونظرت إليه نظرات حادة فلم يتمالك ألكسى من الضحك ثم سكت ، فقالت له وهى تلتزم الوقار :

— إذا كنت حقاً تريد أن نكون أصدقاء فكن سيد هواك

فقال لها ألكسى وعلى ثغره ابتسامة ودهش :

— من الذى علمك هذا ؟ هل هى ناشيا خادمة سيدتك ؟ إن أخلاقها الطيبة قد انطبعت فى نفسك صورة ثانية

شعرت ليزا أنها لا تستطيع كتم الحقيقة عنه ، فأرادت أن تخبره عن نفسها من تكون ، ولكنها امتنعت عن ذلك وقالت له :

— هل تحسب أننى لا أعرف كيف أسمع ولا كيف أرى عندما أكون بين أسيادى فى القصر ؟ ؟

ثم أردفت قائلة : ولكننى ما جئت هنا كى أمضي الوقت فى الكلام معك ، إذهب إلى شأنك ، ودعنى أنا أيضاً أذهب ... وداعاً !

نهضت ليزا من مكانها ولم تكد تبتعد قليلا حتى شعرت بأن ألكسي قد أمسك بيدها وقال لها : ما اسمك يا عزيزتي الصغيرة ؟

فأجابته وهى تحاول الافلات من يده :

— اسمى « أكولينا » ، دعنى أذهب يا سيدى ، لقد تأخرت

— إذن سأزور والدك « فاسيلى » الحداد فى الغد

— ماذا تقول ؟ بالله عليك لا تذهب ، إن والدى إذا علم أننى تحدثت معك ، وأننا كنا وحدنا فى الغابة ، فإنه سيضربنى ضرباً مبرحاً

— ولكنى سأجئ لأراك فقط

— إذن سأعود إلى هذا المكان لأجمع الكمأة ! !

— متى ؟ ؟

— إذا كنت تريد فإننى أجئ فى الغد

— فى الغد ياعزيزتى ، أليس كذلك ؟!

— نعم... نعم .

— أحقاً ما تقولين ؟

— صدقنى ياعزيزى

— أقسمى يمينا بالله لتأتين إلى هنا فى الغد .

— أقسم لك بالله

* * *

افترقا . وخرجت ليزا من الغابة واجتازت الحقول الواسعة وهى مسرعة جادة فى سيرها ، ثم دخلت الحديقة فوجدت خادمتها ناشيا فى انتظارها فبدلت لها ثيابها ، وأجابتها ليزا على أسئلتها التى كانت تلقيها عليها جواباً مقتضباً ، ثم دخلت الدار فوجدت الطعام حاضراً وأهلها ينتظرونها ، وكانت مربيتها « مس جوكسون » قد حمرت وجنتيها وشدت مئزرها فبدت كأن جسمها جسم نحلة ، وكانت تقطع الخبز قطعاً دقيقة ، ثم التفت « مورمسكى » والد « ليزا » إلى ابنته وامتدح زهتها التى قامت بها فى الصباح وقال لها : « ليس أحسن للجسم من القيام فى الصباح الباكر » ثم أخذ يسرد على ابنته أخبار المعمرين الذين يقرأ عنهم فى المجلات الانكليزية وأن جلهم من الذين لا يشربون « الفودكا » ومن الذين يقومون باكراً فى الصيف وفى الشتاء ، ولكن ليزا كانت فى شغل عن حديثه فإن ما وقع معها فى الصباح أخذ يعود إلى ذهنها ، وكانت تفكر فى نجاحها ساعة خدعت الكسى وكيف صدق أنها ابنة حداد وأن اسمها « أكولينا » ..: ولكنها شعرت بالندم رغم ذلك النجاح ، وعبثاً حاولت أن تقنع نفسها بأن ماحدث لها سوف لا يتجاوز محله ، وأن ألعوبتها التى قامت بها مع الكسى قد انتهت . لقد كان صوت ضميرها أكثر ارتفاعاً من صوت عقلها . إن موعدها فى الغد يقلق فكرها ، وهاهى ذى تكاد تصمم على أن تخلفه ، لولا أنها ذكرت أن الكسى سوف يبحث عنها فى منزل الحداد ، بعد أن ينتظرها طويلاً فى الغابة ، وأنه سيجتمع بابنة الحداد « أكولينا » صاحبة الوجه الدقيق والجسم الغليظ ، وأنه سيقف على حقيقة هذه المهزلة ! كانت هذه الفكرة تخيف «ليزا» فتتيقن بأن «أكولينا» ابنة الحداد ستخرج فى صباح اليوم التالى بدلا منها إلى الغيضة وأنها ستنتظر « الكسى » وأنه سيحبها ..!

أما الكسى فقد كان مسروراً أى سرور وقد ظل طيلة يومه يفكر فى صديقته الجديدة ، ولما أقبل الليل ظلت صورة الفتاة ذات السمرة الجميلة تغمر أحلامه

لم تكد الشمس تشرق حتى كان الكسى على أهبة الخروج ، فاصطحب كلبه الأمين سبوجار وركض إلى المكان الذى تواعدا على أن يجتمعا فيه

ظل الكسى ينتظر قدوم حبيبته نصف ساعة

وأخيراً شاهد ملاءة زرقاء تلمع بين الأدغال ، فوثب يريد ملاقاة عزيزته « أكولينا » ؛ فضحكت هذه لرؤيته ، ولكن الكسى لم يلبث أن تبين فى وجهها أمارات الاضطراب والحزن ، فأحب أن يعرف سبب ذلك ، فأخبرته ليزا بأن هذه الحرية التى تستعملها فى جميع شؤونها تسبب لها هذا الحزن ، وأنها ندمت على ما بدا منها ، وأنها لم تأت اليوم إلى هذا المكان إلا لتفى بوعدها ؛ وأنها تريد أن يكون هذا الاجتماع هو الاجتماع الأخير ، وقالت له : « أريد منك أن تقطع هذه الصلات التى ربما أوصلتنى إلى ما لا أحبه وأرجوه »

لقد كان لهذه الكلمات على ما فيها من بساطة وقع شديد فى نفس الكسى ، فاستعمل كل ما أوتى من مقدرة وذكاء لكى يرد أكولينا عن عزمها ، وأكد لها أن كل ما قالته إنما مصدره قلبها الساذج وحبها البرىء ، ووعدها بأن يطيعها فى كل شىء وألا يكون بينهما من الصلات ما يجر إليها الندم ، ثم طلب إليها ألا تحرمه السعادة التى يجدها ساعة يجتمع بها ، وطلب إليها أن يراها مرة كل يومين أو على الأقل مرتين فى الأسبوع

كان الكسى فى حديثه هذا صادق السريرة شريف الهوى ، أوفى ما يكون محب لحبيبته ؛ وكانت ليزا مصغية إليه ، ثم رفعت رأسها وقالت : عدنى بأن لا تطالب منى موعداً غير الذى أضربه لك ؛ فهم الكسى بأن يقسم لها يميناً على ذلك ، ولكنها منعته وقالت له ، وهى تبتسم : « لست بحاجة إلى اليمين وإنما وعدك كاف يا عزيزى ... »

عندها أخذا يتحادثان وهما يسيران فى الغابة جنباً إلى جنب ، وبعد لحظة التفتت إليه ليزا وقالت له : « أريد الذهاب » فافترقا

ظل الكسى وحده فى الغابة فأخذ يسأل نفسه كيف أن هذه الفتاة القروية التى لم يجتمع بها أكثر من مرتين استطاعت أن تستحوذ على نفسه وتملك عليه إرادته

كانت علاقاته مع أكولينا لا تزال محتفظة بجدتها وبريقها ، فهو رغم تمنياتها الغريبة لم يخطر له يوماً من الأيام أن يخلف وعده معها . لقد كان الكسى رجلاً ذا قلب نقى يقدر الفتاة البريئة حق قدرها رغم خاتمه الأسود ، ومراسلاته السرية ، ونظراته المبهمة ! !

* * *

لو أننى استمعت إلى ما يوحيه إلىّ ذوقى لما تأخرت عن وصف اجتماعات هذين المخلوقين وصفاً شاملاً ، ووصف حبهما المتواصل ، وثقة كل منهما بالآخر ، وأحاديثهما الشائقة ، ولكنى أخشى أن يوجد بين قرائى الأعزاء من لا يشاطرنى هذا الشعور ، ولكن الغالب فى هذه التفاصيل أنها تافهة ، فما علىّ إذن إلا أن أقول : إنه لم يمر على « الكسى » و « ليزا » شهران حتى كانا متحابين حباً جمًّا ، وأن ليزا رغم ما تبديه من عدم اهتمامها بالموضوع كانت تحب « الكسى » أكثر من حبه لها

لم يفكر أحد منهما فى المستقبل قط ، ولم يخطر لهما أن يحلا هذه المشكلة بالتفكير فى العاقبة ، فالكسى لا يستطيع أن يمحو من فكره أن هذه فتاة قروية ، وأنه سيد شريف ، رغم ما بينهما من حب ، و « ليزا » لم تنس شدة البغض بين والديهما ، وكذلك « الكسى » ، فإنه ما فكر يوماً فى أن

يطلب يدها للزواج ، وهى ابنة الحداد ، وهو البارون النبيل، إلا وشعر بألم يحز فى كبرياء نفسه ؛ ولكن حادثاً جليلا وقع فحسّن مابين هذين الحبيبين من حال

* * *

فى صبيحة يوم من أيام الربيع الباردة خرج «إيفان برستوف» والد ألكسى إلى النزهة والصيد ممتطياً صهوة جواده ، وكذلك شاءت الأقدار فخرج جاره « مورمسكى » والد « ليزا » ، وأمر الخدم فأسرجت له بغلته الانكليزية وراح يطوف على قراه ومساكنه يتفقدها . ولما اقترب من الغابة ، وجد جاره على جواده منتظراً ظهور أرنب من الغابة ، ولو أن « مورمسكى » لمحه من مسافة أبعد من التى بينهما الآن ، لثنى زمام فرسه ، ولعاد أدراجه حتى لا يجتمع به ؛ ولكن أنى له ذلك وهو الآن على بعد خطوات منه ؟ فاضطر «مورمسكى» إلى التقدم نحو عدوه ، وإلى إلقاء التحية عليه ، ولكن رد « برستوف » على تحية جاره كان فيه من اللباقة والظرف أكثر مما فى تحية دب أبيض مطيع لأوامر صاحبه وهو يعرض على جماعة من المتفرجين . وفى هذه اللحظة خرج من الغابة أرنب برى ، وأخذ يعدو فى الحقل فصاح « برستوف » بخدمه وترك الكلاب تعدو وراءه ، ولكن بغلة مورمسكى التى لم تتعود الذهاب إلى الصيد رجعت إلى الوراء وشرعت تعدو ثم وقعت فى حفرة لم ترها فوقع مورمسكى عن ظهرها وسقط على الأرض الباردة بما عليها من جليد ، وظل مستلقياً هناك على ظهره يشتم البغلة التى وقفت عن عدوها لما أحست أن صاحبها قد وقع عن ظهرها . عندها ركض « إيفان برستوف» إلى جاره وعدوه «مورمسكى» قبل أن يصيبه أذى ثم أمر خادمه الذي كان معه فأمسك بلجام بغلته وأعانه على الصعود فوق ظهرها ، ثم اصطحبه « برستوف » إلى قريته ، وهكذا دخل القرية مكللاً بالنصر يحمل معه أرنباً ويصطحب عدوه المجروح كما لو كان أسيراً من أسرى الحرب

كان حديثهما على المائدة فيه كثير من اللطف والمحبة ، وقال مورمسكى لجاره : إن آلامه لا تمكنه من العودة على بغلته فهو يفضل أن يعود إلى القرية فى عربة « برستوف » فاصطحبه « برستوف » إلى خارج منزله ، ولم يدعه مورمسكى يرجع حتى أخذ منه وعداً جازماً بأن يتناول طعام الغداء عنده وأن يصطحب معه ابنه ألكسى فى الغد . هكذا انهار صرح عداوة عميق الأساس بفضل نزوة من نزوات بغلة انكليزية خؤون !

فى المساء ، ركضت ليزا لاستقبال والدها وقالت بدهش : « ما ذا حدث لك يا أبى ؟ لم تظلع فى مشيتك ؟ وأين حصانك ؟ هذه العربة لمن ؟ »

— « إن الذى حدث لى لا يمكنك أن تصدقيه يا عزيزتى » ؛ ثم أخذ يسرد على ابنته الحادثة بحذافيرها ولما انتهى قال : وسأنتظر أصدقائى آل « برستوف » فى ظهر الغد لتناول طعام الغداء معاً

فصاحت ليزا وقد امتقع لونها : « ما ذا تقول يا والدى ؟ إن آل « برستوف » سيجيئون فى الغد لتناول الطعام عندنا ؟ لا ... لا ... يا أبى افعل ما تحب ، أما أنا فانني سوف لا أظهر أمامهم مطلقاً

— لماذا ؟ هل أنت مجنونة ؟ ما إخالك إلا ورثت كثيراً من بغضى لهم . دعى عنك هذه الوساوس الصبيانية يا عزيزتى

— لا يا والدى ، ليس إلى إقناعي بالظهور أمامهم من سبيل

فرفع كتفيه ، وامتنع عن الحديث معها ، لأنه يعرف عناد ابنته حق المعرفة ، ثم قام إلي سريره ليستريح من عناء ما حدث له فى الصباح

* * *

دخلت ليزا غرفتها ، ودعت خادمتها ناشيا ، وجلستا تتحدثان عن هذه الزيارة . كيف ترين لو أن ألكسى جاءني ورأى أن أكولينا ليست إلا ليزا ابنة البارون ؟ ما ذا سيكون موقفي منه ؟ إنه ليسرني أن أرى وجه ألكسى مشدوهاً بهذه المفاجأة السارة. ثم قالت فجأة : « إنني أود أن أقوم بعمل غريب » وحدثتها به فسرت ناشيا كما سرت ليزا واتفقتا على تنفيذه !

فى الصباح سأل « مورمسكى » ابنته ليزا عما إذا كانت لا تزال مصممة على عدم الظهور أمام آل برستوف فأجابته قائلة : « بما أنك تريد ذلك يا والدى فانني سأظهر أمامهم ، على أن تقبلني فى أى شكل أظهر فيه ، وألا تعترض على ما سألبسه ساعة أجلس معكم فى الظهر » فأجابها ضاحكا من قولها : « وهل لديك غير هذا ؟ إفعلي ما تشائين . فانني راض عنك » ثم قبل ابنته فى جبينها وانطلقت إلى غرفتها تهيأ للمفاجأة

* * *

فى الساعة الثانية تماماً دخلت عربة قروية يقودها ستة من الخيول إلى داخل حديقة القصر ونزل منها برستوف العجوز فجاء إليه خادمان من خدام « مورمسكى » ورافقاه فى صعود درجات السلم العريض . ثم جاء بعده بقليل ابنه « ألكسى » ممتطياً صهوة جواده ، فدخل الاثنان غرفة الطعام ثم دخل عليهم مورمسكى وتلقاهم بالترحيب وأخذ يطوف معهم في حديقته الانكليزية الجميلة ، ويريهم مطبخه الفخم ، ويسير معهم على رقيق من الرمل الناعم جميل الهندسة . فقال برستوف وقد خفض من صوته احتراماً لشعور مضيفه : « ما أكثر الأوقات التى تضيعها فى هذه الأمور التافهة يا جارى العزيز » ، وكان ألكسى فى شغل عما هما فيه من الحديث ، كان يفكر فى ابنة مضيفه وما هي عليه من الجمال البارع الذى طالما سمع الناس يتحدثون عنه ، رغم أنه محب كاف لليزا ، فقد كان للجمال حظ أكبر من انتباهه

دخل الثلاثة غرفة الاستقبال ، وأخذ برستوف ومورمسكي يتحدثان عن ماضيهما وعن أيام الجندية وأخذ الكسي يفكر فى موقفه من ابنة مضيفه ليزا ، فقر رأيه على أن يظهر أمامها فى صورة تنم عن عدم الاكتراث ، ثم هيأ نفسه لذلك ، وفجأة سمع الباب ينفتح فدار رأسه ببطء وتكبر حتى لو أن أكثر نساء الدنيا تظرفاً وأنوثة رأته فى هذه اللحظة لارتجف فؤادها . ولكن بدلا من أن تكون الداخلة ليزا ، كانت مربيتها « مس جوكسون » وقد تعطرت وطلت شفتيها وخديها بالأحمر وغضت من طرفها ، ولم تكد تجلس فى مكانها حتى انفتح الباب ثانية ، وكانت الداخلة هذه المرة هي « ليزا » فوقف الجميع لاستقبالها وشرع والدها يقدمها إلى ضيوفه ، ولكنه وقف فجأة وعض على شفتيه ... ليزا ، ليزا الجميلة السمراء قد طلت وجهها حتى أذنيها بالأبيض ، وعيونها الجميلة أقبح من عيون مربيتها ، وهى مرتدية ثوباً كما كان يلبس الناس في أيام

« لويس الرابع عشر » فكانت فى جملتها كأنها حرف (×)، وقد وضعت فى جيدها وأصابعها وفى أذنيها حلى والدتها القديمة

أنى لصاحبنا الكسى أن يجد فى هذه الفتاة المضحكة عزيزته الجميلة أكولينا ؟ ثم قبل يدها المجوز پرستوف وفعل مثله ابنه الكسى ، ولكنه عندما وضع أصابعها الرقيقة على شفتيه أحس أنها ترتجف ، ولاحظ أن حذاءها ليس على تمام الانسجام مع بقية ما تلبسه

لم يستطع والد ليزا لما رأى ابنته على هذه الحال أن يمتلك نفسه ، ولكنه ذكر وعده لها فكظم غيظه ، ثم ما لبث أن انفجر ضاحكا . وأما مربيتها الانكليزية المتصنعة فى ملبسها وفى كل شىء ، فقد لازمت الصمت والوقار ولم تضحك ، وكانت متأكدة من أن ليزا قد استهلكت فى فعلتها هذه كل ما فى خزانتها من طلاء فاضطربت واغتاظت ، ولم يستر غيظها بياض الطلاء وكثافته فبدت وجنتاها حمراوين ، وأخذت تلقى على ليزا — الساهية فى هذه اللحظة — نظرات ملؤها الحنق ، ولكن ليزا لم تجبها ، إنها كانت تريد أن تؤجل الكلام فى هذا الموضوع إلى ما بعد خروج الضيوف

ولما جلسوا إلى المائدة ظل الكسى على ما هو عليه من عدم الاهتمام والذهول ، وأخذت ليزا تتعمد اللطف والتملق وتتكلم الفرنسية بأطراف شفتيها الرقيقتين ، وعلى مهل . كان والدها لا يرفع نظره عن وجهها ، وكان فى حيرة وذهول لا يدرى ما الذى دعا ابنته إلى تمثيل هذه المهزلة التى كانت رغم كل ذلك مسلية للغاية ، ولم يكن أحد من الحاضرين مسروراً كسرور « إيڤان پرستوف » الذى شرع يأكل أكل أربعة من الرجال الأصحاء ، ويشرب كثيراً ، وهو فى كل ذلك مسرور ! وأخيراً قام الجميع من حول المائدة ، وذهب الضيوف إلى منزلهم وخلا الجو لوالد ليزا ، فضحك ما شاء أن يضحك ، وسأل ابنته ماذا تريد من هذه السخرية التى قامت بها ثم قال : « إن اللون الأبيض لما يوافق جمالك وينسجم مع تركيب قوامك الجميل يا ابنتى ، وإن كان ليس لى حق التدخل فى زينة النساء ، ولكننى إذا كنت مكانك لما ظهرت إلا فى الأبيض من الثياب أو الطلاء والزينة » ولكن ليزا لم تجب والدها على أسئلته بل أخذت تصفق لنجاحها ، وتقبل والدها ، وهى تعده بأن تفكر فى نصيحته ثم راحت تخفف من ثورة مربيتها « مس جوكسون » التى امتنعت طويلاً عن أن تدخل ليزا إلى غرفتها أو أن تقبل معذرتها . قالت ليزا :

— إننى خجلت من أن يرى ضيوفنا لونى الأسمر ، ولم أجد متسعاً من الوقت ، فأطلب إليك السماح لى بتناول قليل من الطلاء ، ولكننى كنت متأكدة من أنك يا عزيزتى « مس جوكسون » ستصفحين عن زلتى هذه . فسكتت « مس جوكسون » وأخذت تقبل ليزا ، ثم أهدت إليها حقاً صغيراً من الطلاء الانكليزى الأبيض فقبلته مع إبداء الشكر الجزيل

أنا على يقين من أن القارئ سيوافقنى إذا قلت له إن ليزا خرجت فى الصباح التالى للقاء « الكسى » ولما رأته قالت له : « هل كنت البارحة عند البارون يا عزيزى ؟ كيف وجدت ابنته ؟ »

فأجابها الكسى بأنه لم ينظر إليها طويلاً ، وإنما لمحها لمحاً سريعاً ؛ فقالت ليزا : « إن فى ذلك أذية وضرراً » . فسألها الكسى :

— لماذا يا ترى ؟

— لأننى أحب أن أسألك هل صحيح مايقولون؟

— وماذا يقولون ؟

— إننى أشبه فتاة البارون

— معاذ الله ، إنها مسخ بالنسبة إلى جمالك الزاهي يا عزيزتى

— آه ؛ إن فى قولك هذا خطأ لا يغتفر ، إن فتاة السيد بيضاء ظريفة ، أما أنا ...

فأقسم الكسى بأنها أجمل من كل بيضاء فى العالم ، ثم أخذ يصف فتاة البارون بلهجة الساخر ليؤكد لها قبحها ، فلم تمالك ليزا من الضحك طويلا ثم تنفست الصعداء وقالت له : « كيفما كانت ياسيدى فاننى أمامها فلاحة جاهلة لا أعرف الكتابة والقراءة »

— وإن كان ذلك فليس فى جهلك القراءة والكتابة ما يحزن يا عزيزتى ، وأنا مستعد لأن أعلمك كل هذه الأشياء فى وقت قريب

قالت ليزا : هل نستطيع أن نجرب ذلك الآن؟

— « نعم ، هيا بنا » . ثم جلسا على الأرض وأخذ الكسي قلماً ودفتراً بيده ، وابتدأ يلقن أكولينا مبادئ القراءة فوجد أنها تتقنها بسرعة مدهشة ، فسر من ذكائها ؛ وفى الغد أحب أن يعلمها الكتابة فوضع القلم فى يدها ، ولكنه وقع من بين أصابعها اليسرى ، وبعد مضى لحظات استطاعت أن ترسم الحرف رسماً لا بأس به ، فقال لها : « إنها لأعجوبة والله ، إنك تتعلمين بسرعة مدهشة يا أكولينا » ؛ وبينما كانت ليزا تقف عن القراءة لحظات تفكر فى الكلمة التى تريد أن تقرأها كان الكسى يحس أنه فى غمرة هدوء عميقة وسعادة لا تدرك . وبعد ذلك أخذا يتراسلان، وكان صندوق البريد الذى اتفقا على أن يضعا رسائلهما فيه هو عبارة عن حفرة صغيرة فى سنديانة عجوز ؛ وكانت ناشيا خادمة ليزا تقوم بوظيفة ساعى البريد

كان الكسى يودع فى هذه الحفرة رسائل مكتوبة بأحرف كبيرة ، ويأخذ منها رسائل على ورق أزرق مكتوبة بخط مبهم ، ولكن كان يلاحظ أن كتابة أكولينا آخذة فى التقدم ، وإن ذكاءها ينمو يوماً بعد يوم نمواً محسوساً . وكانت علاقات إيفان برستوف مع جاره مورمسكى تزداد وثوقاً حتى انقلبت إلى صداقة متينة

كثيراً مافكر مورمسكى بأن ابن جاره سيرث أموال أبيه الطائلة ، وأنه سيصبح أغنى رجل فى الإقليم ، وأنه لا عذر له إذا لم يتزوج ابنته ليزا ، كما أن برستوف المجوز كان يفكر مثل تفكير جاره. وكان من أقارب مورمسكى «الكونت برفسكى» وهو رجل نبيل ذو يد طولى عند الحكومة، وفى استطاعته أن يساعد الكسى . وكان إيفان برستوف على تمام اليقين من أن جاره مورمسكى سيستبشر عند ما يفاتحه بخبر زواج ابنه الكسى من ابنته ليزا !

فكرا فى هذا الموضوع طويلاً حتى قيض لهما أن يتكلما فيه ، فوجد كل منهما أن صاحبه يريد مثل ما يريد هو ، فاتفقا على ذلك وتصافحا وهما يرجوان من الله أن يحقق أملهما السعيد . وأخذ كل منهما يمهد السبيل من الناحية التى تتعلق به ، فكان من الصعب على مورمسكي إقناع ابنته ليزا بضرورة التعارف مع الكسى الذى لم تره بعد ذلك النداء الجميل فى قصرهم ، والذى يظهر لنا هو أن هذين الشابين لا يروق لهما أن يجتمعا سوية ، فان الكسى لم يعد إلى قرية ليزا مرة ثانية فيزورها فى

القصر ، كما أن ليزا كانت تختبئ في غرفتها عند ما يزورهم « إيفان برستون » وكان مورمسكي يرى مجرد زيارات متواصلة يقوم بها ابن جاره الكسي كافية لأن تجعله محبباً من ابنته ليزا

أما إيفان برستوف فقد كان لا يشك في نجاحه مع ابنه ، وفي مساء يوم دعاه إلى غرفته ، وبعد أن أشعل غليونه ، وصمت قليلا قال له :

— منذ زمن طويل وأنت لا تكلمني في موضوع دخولك في الجيش . يخيل إليّ أنك لم تعد تحب ذلك ؟! فأجابه الكسي باحترام : « لا يا والدي إنني لم أمتنع عن الدخول في الجيش إلا لعلمي بأن ذلك مالا تحبه لي وإن من واجبي أن أطيعك » فأجابه والده إيفان : « حسن يا بني إنني جد مسرور من إطاعتك لي ، ولكني قبل ذلك أحب أن أزوجك » فسأله الكسي بدهش : « ممن تحب أن تزوجني؟ »

— « من ليزا مورمسكي . إنها خطيبة ليس لها مثل . أليس كذلك يا بني ؟ »

— ولكنني يا والدي لا أفكر الآن في الزواج

— فليكن ذلك ، لقد فكرت أنا فيه طويلاً فوجدت أن من الصالح لك أن تتزوج

— لك ما تريد يا والدي ، ولكن ليزا لا تعجبني

— ستعجبك في يوم من الأيام . إن الحب يا بني ينمو مع الزمن

— أشعر بأنني لا أستطيع أن أسعدها يا والدي

— ومن الذي يكلمك في سعادتها ؟ إنك بهذا الحديث ترفض إطاعة والدك

— سوف لا أتزوج منها ، ولن أتزوج مطلقاً

— بل ستتزوج منها رغم أنفك ، وإلا حل عليك غضبي ، وبعت كل ما أملكه من الأرض وأكلت الثمن ولم أترك لك درهماً واحداً . وإني أدعك تفكر في هذا الموضوع ثلاثة أيام على أن لا أواجهك أثناء ذلك مطلقاً

* * *

لم يكن الكسي يحسب أن والده صلب في رأيه إلى هذا الحد ، ولكن هو أيضاً قد ورث عنه هذا العناد ، فكان من الصعب أن يغير أحد رأيه الذي يراه . ثم دخل إلى غرفته ، وجلس يفكر في سلطة الآباء على أبنائهم وكيف أنه يريد أن يدعه فقيراً يتسول ، ثم فكر في ليزا ، وأخيراً في أكولينا ، وشعر للمرة الأولى أنه مأخوذ بحبها ، ثم خطر له أن هذه فتاة قروية ، وإنه إن رفض ما يدعوه إليه والده ، سيضطر إلى العمل حتى يكسب قوته

أقبل الشقاء ، فاخطر الكسي وأكولينا على الافتراق زمناً وكتب الكسي إليها رسالة فياضة بالشعر والحب ، وحدثها فيه عما يشعر به من الوحشة والأسى وختم الرسالة بقوله : « سنعيش سوية يا عزيزتي »

ثم ركض إلى حفرة السنديانة وأودع فيها رسالته ثم عاد إلى غرفته ونام وهو مسرور بما قام به

في صباح اليوم التالي ذهب الكسي إلى قصر جيرانه آل مورمسكي ، وكان يود من زيارته أن يحدث البارون حديث قلبه ، ويفضي إليه بمكنون سره ، ويخبره بأنه لا يود الزواج من ابنته ليزا ؛ وكان يأمل أن يقنعه بما يريد ، فأخذ يستجمع في نفسه عظمته وكبرياءه ، ليجعل منها تكأة يستعين بها على النجاح ، ثم أوقف جواده أمام سلم القصر وسأل عن السيد هل هو في غرفته ؟ فأجابه الخادم بأنه خرج باكراً وأنه لما يعد بعد . فقال في نفسه :

يا خسارتى ... إذن ليزا هل هى هنا ؟

— « نعم ياسيدى » فنزل ألكسى عن صهوة جواده . وترك زمامه فى يد الخادم ودخل دون استئذان، وخطر له وهو يتقدم من غرفة الاستقبال أنه فى هذه الغرفة سيحدد مستقبل حياته ، وعزم على مصارحة ليزا ، فلعل ذلك يكون أوقع فى نفسها وأيسر حلاً

ثم دخل ... ولكنه وقف حائراً ... ليزا ... لا ! أكولينا ياعزيزتى أكولينا ، يا سمراء اللون أين الملاءة الزرقاء؟ أين الطلاء الأبيض ؟ إنها جالسة أمام النافذة تقرأ رسالتى

كانت ليزا فى ذهول عميق حتى أنها لم تسمع وقع أقدام ألكسى وهو داخل عليها ، فلم يستطع ألكسى أن يخنق فى حنجرته صيحة ذعر وفرح، فوثبت ليزا فى مكانها ، وصاحت مذعورة ، ثم انطلقت تود الهرب، ولكن ألكسى ركض وراءها وقبض عليها وهو يقول :

— « أكولينا ... أكولينا » فأجابته هذه بالفرنسية : « دعنى ، مالك ، دعنى ، هل أنت مخبول ؟ » قالت ذلك وهى معرضة عنه بوجهها ؛ فأجابها وهو يقبل يديها : « أكولينا ، يا عزيزتى أكولينا ! »

كانت « مسز جوكسون » واقفة تشهد هذا الحادث الغريب، ولكنها لم تر بماذا تعلله . وفى هذه اللحظة انفتح باب الغرفة ، ودخل والد ليزا ، مورمسكى وهو يقول :

— آه ... آه ... يخيل إلىّ أن المشكلة قد انحلت !

واسمح لى يا قارئى المحبوب أن أتركك هنا ، وأن أدعك تفكر فى النهاية دون إرشادى

« بيروت » عز الدين العنزى

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية

٥٠	السنة الأولى فى مجلد واحد
٧٠	كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة فى مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً فى الخارج عن كل مجلد

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى المصر لموسيه ، والأوذيسة لهوميروس ، ومذكرات نائب فى الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزءين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

حاجي بابا في انكلترا

تأليف جيمز موير

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

الفصل السابع والثلاثون

الشعر والحب

شغلت نفسي سائر اليوم بكتابة الخطابات التي كلفني بها السفير لكي أفرغ منها سريعاً فأتمكن من حضور العشاء في بيت المستر هوج

وأخيراً جاءت الساعة الميمونة التي تمكنت فيها من الذهاب ، فتزينت ولبست أجمل ثيابي وذهبت . وكان السفير قد أعطاني شيئاً من المال فلبست جوربا حريرياً لأول مرة في حياتي وقلت في نفسي : لو أسعدني الحظ بالزواج من حبيبتي بيسي لاطمأننت على مستقبلي وصرت في غنى عن خدمة الملوك والحكومات

ولما وقفت بباب المستر هوج زلت قدمي فتشاءمت وطرقت الباب فلم يجبني أحد ، فتشاءمت مرة أخرى وسألت نفسي هل أخطأت الطريق وهل هذا منزل آخر أم ساعتي مختلة فكان مجيئي في غير الموعد المضروب ؟ وأخيراً فتح لي الباب رجل هرم فدخلت ولكنني لم أجد أحداً من أهل المنزل في انتظاري

جلست في غرفة الانتظار ورأيت بها سجادة كالتي نصلي عليها معلقة على الحائط فنزعتها وصليت عليها وقلت لعلي جئت مبكراً فعندما أنتهي من الصلاة يكون الموعد قد حان

وعندما فرغت من الصلاة سمعت طرقاً على الباب ففتحته ووجدت سيدة في ثياب فاخرة ومعها فتاة يافعة ورجل هرم وشاب آخر . وقد اختلفت نظراتهم إليّ : أما الفتاة فإنها أخذت تنظر إليّ من وراء منظارها الذهبي نظرة اندهاش ، وأما السيدة فكانت نظراتها لا تدل على شيء من الاهتمام ، وأما الرجل الكبير فيظهر أنه رآني من قبل فلم يستغرب ، وأما الشاب فأخذ يطيل من نظراته . وبدل أن يتقدموا نحوي فيصافحوني اقترب بعضهم من بعض وأخذوا يتهامسون

وبعد قليل خرجت زوجة المستر هوج ومعها بنتاها فرحبن بالزائرين . ووقع نظرهن عليّ فصحن : « الأمير هنا أيضاً ! ثم سألنني هل جئت من زمن ؟ ورحبن بي . وقد وجدت الزائرين ينظرون إليّ نظرة أخرى عند ما سمعوا أنني أمير ، فعرفت أن الرجل المتقدم في السن عضو من أعضاء الشركة ، وتذكرت أني رأيته بين الأربع والعشرين . وأما الشاب فمن أكبر العلماء بالأمور الشرقية . وهو يعرف لغات متعددة منها الفارسية وقد جاء به عضو الشركة ليترجم أقوالي . وهو نابغة في اللغة الصينية

وأما السيدة الكبرى فهي زوج عضو الشركة والفتاة بنتهما

وأخبرتني زوجة المستر هوج بأن عضو الشركة يلقب (بالنابوب) وهو لقب هندي أطلقوه عليه لأنه أقام في الهند مدة طويلة

وأخذ المترجم الذى معه يخاطبنى باللغة الفارسية فلم أفهم كثيراً ، إذ يظهر أن اللغة الفارسية التى يعرفها هي لغة الكتب الراقية

ولما استقر بنا الجلوس جاء ضيوف آخرون من بينهم محام وطبيب وضابط بالجيش برتبة كولونيل وجاء وقت العشاء ولكن أصحاب المنزل قالوا إنهم ينتظرون لورداً دعى إلى الوليمة . وبينما نحن فى انتظار اللورد إذ فتح الباب ودخل منه بدلا من اللورد ذلك الشاب البغيض الذى ينافسنى فى الحب والذي عرفه القراء بأنه حليق الشاربين ذو مهماز فى حذائه ، وكانت رؤية هذا الشاب تبعث فى نفسى من الغيرة ما لم أعتده وما لم أكن أحب أن أوصف به ، وجلس إلى « بيسى » وأخذ يلاطفها بمثل ما كنت أتمناه لنفسى ، ولكنى لا أجرؤ عليه ، وكان مرتسماً على وجهه أنه يحب نفسه وأنه فرح بها وفى لسانه لثغة ، ولكنه مع ذلك يأبى أن يكون قليل الكلام .

وبعد نصف ساعة أخرى جاء اللورد الذى كنا فى انتظاره ، وكان فرح الأسرة به زائداً عن الحد ، وقدم له الأب بنانه بعد أن قدمتهن الأم زيادة فى الحفاوة به . وزاد هذا اللورد من احترامه إياى عند ما أخبروه بأنى أمير

وعلمت أن هذا اللورد من أكبر سادات الانكليز ، ولكنه كسائر من رأيتهم من اللوردات أشبه بالدراويش منه بأصحاب المكانة السامية ، وكان إذا تحدث سكت الجميع وأحسنوا الانصات

وأخيراً بدأت الوليمة فأجلسونى فى صدرها مع اللورد وبجانبى زوجة المستر هوج ، وبجانب اللورد زوجة النابوب ؛ وكانت الأطعمة والأشربات فى الوليمة أشبه بما فى قصور الملوك منها بأمثال هذه الدار ، وكانت الأضواء الموقدة مما يبهر الأنظار

وكنت مغتبطاً بمكانى في الوليمة إذ من الذى يصدق أننى أجلس بجانب صاحبة الدار على رأس المائدة وبجوارى أحد اللوردات

وكان العالم المترجم جالساً أمامى ليترجم ما أقوله وبجواره مارى ثم المحامى ، وبجواره بنت النابوب ثم قصير الشاربين ذو المهماز بين كريمتى المستر هوج ، وكنت شديد الغيظ من جلوس بيسى بجانبه لأنى كلما أردت أن أمتع نظرى برؤيتها لم أستطع تجنب النظر إلى وجهه البغيض

وكان اللورد قليل الكلام ولكنه إن تكلم فبأدب نادر ، وقد اتجه إليه صاحب الدار بكلياته تاركا إياى للعالم المترجم . أما عضو الشركة فكان يكثر من الكلام ، ولكن كلامه كان قاصراً على الهند وعوائدها وأخلاقها وماليتها وصناعتها . وأما زوجته فكانت تردان من الحلى بأكثر مما يحمله الدرويش الفارسى من الأحجبة ، وكانت تكثر من شرب النبيذ . وعلى ذكر النبيذ أقول إن شربه هنا علامة على الود مثل أكل الخبز والملح عندنا

وقد شربت فى هذه الليلة مع كل الضيوف ، وكانت هذه أول مرة شربت فيها منذ خرجت من إيران

وكان الطبيب رجلاً واسع المعرفة فلم يدع من أصناف الطعام صنفاً إلا تكلم عنه من الوجهة الطبية

فقال عن بعض المآكل إنه شديد النفع وعن البعض الآخر إنه شديد الضرر ، ولكنه كان يأكل منها جميعاً سواء منها الممدوح والذميم . ولاحظت أن سائر الموجودين كانوا يأكلون بلا رعاية لما يسمعونه من الطبيب رغم تسليمهم بصدقه

وقد سألني الطبيب أسئلة متعددة عن الطب في بلادي فلم أحر جواباً ، ولذلك اضطررت إلى استعمال الغموض والإبهام فلم يستطع المترجم الفارسي إفهامه ما أريد ، ولولا تدخل النابوب لخجلت وخجل المترجم

وقدمت لي صاحبة المنزل طبقاً به عيدان خضراء مستطيلة فلم أقبل تناول شيء منه . وألحت فزدت في رفضه ، فقالت لي لتحملني على القبول : إن هذا الطعام غالي الثمن . فقلت : « إذا كان غلاء الثمن يجعل الطعام شهيًّا فخير لك أن تأكلي الجنيهات والشيلان الكشمير »

فضحك اللورد من هذا القول ضحكاً عالياً ودعاني إلى شرب النبيذ معه . وسألني المحامي عدة أسئلة تتعلق بالقضاء عندنا . وقد دهش عند ما علم أن ليس عندنا من القوانين غير القرآن ، وقال على كل حال لا بد أن يكون لديكم محامون غير علماء الدين ، أم كيف تعيش دولة بغير محامين ؟ فقلت : « ليس لدينا سوى القضاة والعلماء » ، ثم سألته : « أليس القضاة في انكلترا يركبون حميراً بيضاء ؟ »

لم يجبني المحامي على هذا السؤال وضحك البا قون ضحكاً شديداً ، وأصلحت غلطتي فقلت : « إن الحمير البيضاء عزيزة لندرتها ولا يركبها عندنا إلا وجهاء الناس »

ولما انتهى الطعام قام السيدات كالعادة وظل الرجال يشربون الخمر ، ثم عدنا بعد ذلك إلى غرفة الاستقبال . وكنت قد أعددت قصيدة من نظمي ضمنتها كل عواطف الحب فوضعت تلك القصيدة في يد حبيبتي (بيسي) وقلت لها : إن هذا درس في أدب اللغة الفارسية . وقلت : إنه إذا استعصى عليها فهم شيء منه فلترجع إلي

ففهمت موضوع ما سلمت إليها وقالت : إنها ستضعه في « ألبوم » ولما كنت لا أفهم معنى هذه الكلمة فقد قدرت أنها تعني بها القلب أو الصدر ؛ ولذلك اغتبطت اغتباطاً لا مزيد عليه ، وظهر لي على عينيها علائم الحب الأكيد فلم أعد أبالي بصاحب الشارب القصير والمهماز

وتركتها وإياه واستأذنت في الانصراف فألحت على الأم في الانتظار ولكنني اعتذرت وانصرفت

الفصل الثامن والثلاثون

لقب أمير

قضيت سحابة اليوم التالي مفكراً في الحب ناظماً لأشعار جديدة في موضوعه . وفي اليوم الثالث دعاني السفير فذهبت إلى غرفته ووجدته كالانكليز يمشي في الغرفة ذهاباً وجيئة وفي يده صحيفة ، فلما رآني صاح : « هل يوجد إيرانيون غيرنا في هذه المدينة ؟ »

فقلت : « من يدري ؟ ربما ! »

فأعطانى الصحيفة التى في يده وقال : « من هو هذا المجنون الذى يدعو نفسه البرنس حاجى بابا ؟ إقرأ هذه الصحيفة »

فأخذت أقرؤها وأعجب من عوائد الانكليز كيف يفضحون من يأكل عندهم لقمة فيكتبون فى الصحف ما أكل وما شرب . وحمدت كرم العرب، فان أحدهم يذبح لضيفه أسمن الماشية ويكتفى لنفسه بحفنة من الشعير ثم لا يكتب ذلك فى صحيفة سيارة ولا يتحدث به أمام الناس . وهذا هو المنشور فى تلك الصحيفة :

« أقام المستر هوج وعقيلته وليمة شائقة لحضرة صاحب السمو البرنس حاجى بابا وكانت المأدبة جامعة لعظماء كثيرين من الانجليز منهم اللوردسوفتلى والسير هنرى كورى وعقيلته والفيلسوف هوهو وغيرهم ، وكان يحفق على قصر المستر هوج اللمان الفارسى والانكليزي. والغرض من هذه الوليمة توثيق علاقات الود بين انكلترا وفارس . وقد قدم الطعام المستر « بينر بينز » الطباخ الشهير بشارع بوند

قال السفير : « هل قرأت ؟ » فقلت : نعم وإن عوائد الانكليز غريبة عجيبة فان الانسان لا يأكل عندهم لقمة إلا ليفضحوه من أعلى المآذن

قال السفير : « ألا تريد أن تعترف بأنك أنت صاحب السمو حاجى بابا الذى تناول العشاء فى بيت المستر هوج ؟ »

فقلت : « إذا هم لقبونى أميراً وإذا اختار هؤلاء المجانين أن يلقبونى بالملاك جبريل فما هو الذى أستطيعه لمنعهم ؟ »

فوقف السفير مغضباً وقال : « إذهب من هنا ولا تزد فى كلامك ! إن الذى يدعى لنفسه لقباً ليس له ، وينتفع بهذا اللقب كأن يجعله وسيلة للأكل عند الناس فانه يستحق أن يشنق . وإنني والشاه نراقب أعمالك ولن نتركك تضحك على ذقون الناس وتدعى أنك أمير مع أنك ابن حلاق »

فصحت : « والله بالله يا ميرزا فيروز خان إنني لم أفعل ما أستحق عليه هذا التأنيب . لقد أكلت عندهم ، ولكن هذه ليست غلطة ، وهم لقبونى أميراً ولكنى لم أقل لهم إنى أمير فلماذا تشنقنى ؟ أليس عندكم شفقة ؟

ثم علت الأصوات بيننا فدخل سائر أعضاء السفارة ووقفوا بجانب الحائط ينظرون إلينا . أما المعلم الانكليزى فانه لما رأى الحالة وصلت إلى هذا الحد أخذ قبعته وانصرف

ونظر السفير إلى أعضاء السفارة وقال : « ماشاء الله ! أنظروا إلى هذا الشاه زاده ! لقد كنا نعرفه ابن حلاق ؛ أما الآن فإنه أصبح أميراً على حين فجأة وبغير إنذار سابق »

قلت : « ما هذه الكلمات يا سعادة السفير ؟ إننى ابن حلاق، ولكن هذا ليس ذنبي، وأنا تغديت عندهم لأنك تهملنا وليس لى ملجأ فى المدينة فلجأت إليهم

فصاح السفير : « أتجرؤ على مخاطبتى بهذه اللهجة ؟ »

واحتدم غيظه وقال : « هل نسيت من أنا يا أقل من أى إنسان ؟ هل تظن أن ميرزا شافى الذى كنت تحتمى به لا يزال على قيد الحياة ؟ إن ابن

الحلاق فى انكلترا قد يصير أميراً ، ولكن ابن الحلاق الفارسى يظل طول عمره ابن حلاق . إذهب ولا ترنى وجهك بعد الآن »

قلت : « هذا هو كل ما أتمناه » ثم خرجت من عنده مغضباً فصاح بأعضاء السفارة أن يقبضوا علىّ فجروا ورائى وأمسكوا بى ، وأقبل علىّ السفير فضربنى على فمى وقال : « إذا تكلمت مرة أخرى فسأحرق قبر أبيك »

فتخلصت بقوة واندفعت خارج الدار فظللت أجرى فى الطريق وأنا لا أعرف إلى أين أذهب وليس فى لوندرا ملجأ آوى إليه كما هى الحال في طهران . وفكرت فى الذهاب إلى منزل المستر هوج . ولكنى خشيت ألاّ يقبلونى لأنهم إنما اصطحبونى لاعتقادهم أنى أمير ، فان وجدونى شريداً طريداً فلا شك فى طردهم إياى وأحرم إلى الأبد حبيبتى بيسى

وبينما كنت أمشى فى الطريق رأيت فرقة من الجيش أمامها موسيقاها وحولها طائفة من أقذر الانكليز . وكان بعض الجمهور يرمى الجنود بالأحجار فدهشت لهذا المنظر وتوقعت أن يكون من بوادر الثورة . ثم سألت أحد الواقفين لمشاهدة المنظر فأخبرنى بأن هذا الجيش ذاهب ليلقى القبض على رجل سائر اسمه السيد فرنسيس برودت ، عضو البرلمان الانكليزى

فقلت مندهشاً : « أمن أجل القبض على رجل واحد تذهب كل هذه القوة ؟ كيف إذن لو أردتم الاستيلاء على مدينة ؟

ثم شعرت بأن هذه الحكومة ضعيفة جداً وبأنه قد لا تمضى إلا أيام قلائل ثم يقلب فيها نظام الحكم

ولما كان الخطاب الذى ورد أخيراً من الشاه يحث على إطلاعه على كل شىء مما نراه فقد وجدت من واجبى أن أعود إلى السفير وأخبره بما رأيت لأنه لا شىء أهم من وجود ثورة فى البلاد ، وإذا نحن لم نطلعه على ذلك فعلام نطلعه ؟

وخاطرت بأن يضربنى السفير مرة أخرى وعدت إلى دار السفارة راجياً أن يشغله هذا الخبر الجديد عن التفكير فيما جرى بينه وبينى

ولما وصلت إليها كان السفير غائباً ولم أر اهتماماً من زملائى بحادثة الضرب ، لأن ضرب الموظفين أمر عادى مألوف عندنا نحن الفارسيين ؛ وتكلمت معهم فى شأن ما رأيت فتنهدوا ودعوا الله أن يجعل هذه الثورة سبباً فى عودتنا إلى إيران

وقال محمد بك : إن الحالة التى رأيتها دالة بغير شك على قرب حدوث حرب أهلية

وقال لى إن السفير ذهب ، وكان محمد بك يترقب مثلى عودته بصبر نافد لنعد المعدات للعودة إلى بلادنا وقال : « لابد أن تكون الساعة التى سافرنا فيها من أزمير ساعة شؤم . ولو أننا كنا انتظرنا أسبوعاً آخر لما حدثت هذه الثورة . لكن المترجم الملعون خدعنا وأعجلنا ليكون سفرنا مشئوماً وجازف بكل قانون سماوى وأرضى فحملنا على السفر فى غير الساعة الميمونة ! إنها ثورة من الكفار ضد الكفار ولكنها قد تودي بحياتنا فما الذى نفعله يا حاجى بابا ؟

حاولت أن أعزّيه باقناعه أن الخطر قد يكون

أقل مما يتوهم لأن ملك الانكلز قوى وعنده أساطيل ومدافع ولابد أن يتغلب على الثورة ويقتل هذا الثائر وأهله وأصحابه وأبناءه

فهتف جميع أعضاء السفارة : « إن شاء الله ! »

الفصل التاسع والثلاثون

الصلح مع السفير

ولما عاد السفير توسط محمد بك بيني وبينه فقال كلمات لينة ليسترضيه وقال إننى عدت بأخبار هامة

وعندما دخلت رأيت علامات الغضب التى كانت بادية عليه فى الصباح قد زالت ونظر إلىّ نظرة عادية وقال : « ما الذى تريد يا حاجي بابا ؟ »

قلت : « لدى أخبار هامة ياسعادة السفير فإن الثورة قريبة . وقد رأيت بنفسى الجيوش تتأهب للمسير ولا يعلم غير الله ماذا سيكون من نتائج هذه الثورة ؟ »

فقال : « أهذا هو كل ما عندك ؟ بارك الله فيك يا سمو الأمير ! هل تظن أن هذه دولة مثل دولتنا ؟ هل تقيس الانكلز بأنفسنا ؟ ألا تعلم أن حكومتهم ستطفئ الثورة كما يطفئ أحدنا الشمعة ؟ »

فتدخل محمد بك اصلحتى وقال إن الثورة ثورة على كل حال ، وإن رأس الانسان قد تطير بضربة سيف من كافر ثائر كما قد تطير بضربة سيف من ثائر مسلم

قال السفير : « اذهبوا إذن واطمئنوا فلن يصيبنا شيء مهما يكن حظ الانكلز من هذه الثورة. وقد تحادثت طويلا مع وزير خارجيتهم فقال لى إن

أطلبوا مؤلفات

محمود تيمور

وهى : الحاج شلبي . الاطلال أبو على عامل أرتست . الشيخ عفاالله الوثبة الأولى . قلب غانية . نشوء القصة وتطورها

من جميع مكاتب القطر الشهيرة

كتاب « فرعون الصغير وقصص أخرى »

يظهر فى نهاية العام

مؤلفـــات

الاستاذ محمد كامل حجاج

ص

٤٠ بلاغة الغرب جزءان (مختارات من صفوة الأدب الفرنسى والانكليزى والألمانى والايطالى مع تراجم الشعراء والكتاب)

٣٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات فى الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى والحيوان وبه روايتان تمثيليتان)

١٨ نباتات الزينة المشبية (على باحدى وتسعين صورة فنية)

١٥ Les Plantes Herbacées (على بنفس الصور السابقة)

الكتاب الأول والثانى فى جميع المكاتب الشهيرة
وكتب الزراعة تطلب من
شركة البزور المصرية بميدان ابراهيم باشا

الحركة التى ظهرت اليوم لا تستدعى اهتماماً

قال محمد بك : « ولكننا ياسعادة السفير جئنا إلى هذه البلاد لنعقد معاهدات واتفاقيات ؛ فاذا كان مركز الملك مزعزعاً فإن الملك الذى يخلفه قد لا يصادق عليها ، ولذلك أرى أن نستوثق من حالة الحكومة ولا نتفق على أى شىء معها إلا إذا ثبت استقرارها »

فقال السفير : « أصبت يامحمد بك فأين المترجم ؟ متى جاء فاسألوه عن كل شىء ترون السؤال عنه . وا كتبوا كل كلمة يقولها ثم نبعث للشاه بتقرير عن حالة البلاد . وقلت : إنه من الضرورى أن نتحرى كل التحرى لأنه فضلا عن الثورة فقد علمت أن حكومة انكلترا مدينة بدين كبير وهذا يدل على أن حالتها مزعزعة وعمرها قصير

هنا التفت السفير وبدا عليه الاهتمام الشديد وصاح : « أصحيح أنها مدينة ؟ هل أنت واثق مما تقول ؟ إننى لا أتصور لماذا تستدين ؟ أليس فى استطاعة الملك أن يأخذ من رعاياه كل ما يشاء ؟ تحروا عن هذه النقطة فهى أهم عندى من الثورة بكثير . وقد اشتدت دهشة السفير حتى نسي كل شىء غير هذا الموضوع

وعند ما جاء المترجم انصب على رأسه وابل من الأسئلة ، وكان مما قاله السفير : « بالله أخبرنى كيف تجرى الأمور فى بلادكم ؟ فان كل يوم يمر يزيدنى حيرة فى فهمكم ، هل ثار عظماؤكم ؟ وهل جنت الحكومة حتى تعجز عن الوسيلة المؤدية لاطفاء الثورة ؟ هل صحيح أن الجيش تحرك بمدافعه ومعداته لاعتقال رجل واحد ؟ وهل صحيح أن دولتكم مدينة ؟ بالله أخبرنى فان الشاه يقطع رأسى إذا لم أخبره بكل التفاصيل عن هذه الحالة .

فبدل أن يبدو الانزعاج على وجه المترجم رأيناه يضحك كأنه لا يعنيه أن تصاب بلاده بالخراب وقال : « نعم لقد كانت هذه الجيوش ذاهبة للقبض على رجل ثائر ، ولكن الثورات عندنا غيرها فى فارس ، فهناك رجل يثور فتثور معه قبيلته والقبيلة المحالفة وتنتهز القبائل الأخرى المتذمرة هذه الفرصة فتحالف الثوار . والحال هنا ليست كذلك »

فقاطعه السفير قائلاً : « إننى أفهم هذه النقطة ولكن حدثنى عما هو أهم . حدثنى كيف استدنتم ؟ وما هو مقدار دينكم وما معنى استدانة الحكومات ؟ »

فازدادت دهشة المترجم وقال : « ما رأيكم أنتم فى الديون ؟ »

قال السفير : « هي فضيحة وإفلاس » فقال المترجم : « ولكن إذا وفينا ديوننا دفعة واحدة فاننا نعتبر ذلك نكبة وطنية ، ودولتنا لا تتأخر عن الاستدانة الآن لأنها تستغل أموالها فى متاجر تكسب منها أضعاف الربا المستحق على الدين ، ولسنا ندفن أموالنا تحت الأرض كما يفعل الفارسيون

قال السفير : « إذن فما هو مقدار دينكم ؟ »

فقال المترجم : « ألف ومائتا مليون جنيه »

فصاح السفير الله الله ! هل تحسب أننا نصدق هذا الكذب ؟ إن هذا مستحيل ، ولسنا من البهائم حتى نصدق ذلك »

قال المترجم : « ولكن هذه هى الحقيقة »

فقال السفير : « إن ثروة نادر شاه وكنوز

مدينة دلهي وأموال الشاه الحاضر مضافاً إليها ثروة « خونخور » لاتكفي لسداد نصف هذا الدين. إننا قد نصدق أن دولتكم مدينة في مائة ألف جنيه أو نحو ذلك، ولكن ألفاً ومائة مليون مقدار لا يمكن تصوره . إنكم لن تستطيعوا وفاؤه الا إذا ملكتم جميع العالم وجعلتم كل موارده وقفاً على الدائنين » ثم أخذ يردد : « ألف ومائتا مليون ؟ إن فتاح على خان أكبر شعرائنا لا يستطيع أن يختلق أكذوبة أروع من هذه »

قلت : « إننا لانستطيع أن نبلغ الشاه مثل هذه الأكذوبة وإلافانه لا يعود إلي تصديقنا . لقد قلنا له من قبل ما هو أشبه بالصدق من هذا ولكنه لم يستطع تصديقه » وقال السفير : « لقد أصبت ياحاجي بابا ويجب ألاّ نكتب شيئاً عن ذلك إليه . ولا بد أن يكون اشتهرنا في فارس بأننا كذابون لما كتبناه عن الأسطول وعما شاهدناه منذ جئنا إلى هذه البلاد . وإن رؤوسنا لأعز علينا من هذه البلاد ومن كل من فيها

الفصل الاربعون

في مصنع انكليزي

ولما رأى المترجم أننا نخشى زوال ملك الانكليز جعل همه أن يرى السفير المصانع الكبرى . وقد رافقنا السفير في بعض هذه الزيارات .

توسط المترجم في دعوتنا دعوة رسمية لمشاهدة مصنع في مرفأ . وأقيمت لنا حفلة في هذا المرفأ وكنت قد نسيت أسرة هوج منذ ضربني السفير من أجلها فلما استصحبني في هذه الزيارة اعتبرت ذلك علامة على الرضى وعدت إلى التفكير في هذه الأسرة .

وفي استثمار حي

ذهبنا إلى المصنع وهو قصر في جبهة « والوش » فرأينا مالم يكن يخطر لنا ببال، ورأينا الحديد يصهرونه حتى يصير سائلاً مثل الماء ثم يأخذونه ويصبونه في قوالب فيصير بعضه مدافع والبعض مسامير والبعض قنابل والبعض على شكل الكرة . ورأينا المدافع التي في هذا المصنع لو صفت أحدها أمام الآخر لوصلت ما بين طهران وبين تبريز

قال السفير عند رؤيتها : « الله الله ! أبعد هذا تقولون إن دولتكم مدينة؟ ما الذي يحملكم على ذلة الدين ؟ اضربوا دائنيكم ببعض هذه المدافع فيصبحوا في القرار السحيق من جهنم ! كيف تكون دولتكم مدينة وكيف يقولون إنها على وشك الدمار؟ كلا كلا! لا بد من توثيق العلاقات بين انكلترا وبين فارس فان التركمان لا يعودون إلى التمرد علينا متى علموا أننا حلفاء دولة فيها عشرة آلاف مدفع وعشر ملايين قنبلة »

وقد دهشنا أيما دهشة لما سمعناه من البيانات والتفاصيل، واتفقنا على ألا نكتب عن هذا الأمر أيضاً إلى الشاه لأنه من المستحيلات أن يصدق مثل هذا

وكان من بين الضباط الذين رأيناهم في المصنع شاب صغير لازمني . ورأيت زيادة اهتمامه بأمري ثم تبينت سبب ذلك عند ما عرفني بنفسه فقال إنه من أسرة هوج . وعلمت منه أن أسرته مدعوة إلى حضور الوليمة التي ستقام لنا في هذا القصر بعد الفراغ

من مشاهدة المصنع . فاستولى عليّ القلق لأنه لا بد أن يخجلني السفير أمامهم فيفهمهم أنى لست أميراً . ولذلك احتلت للأمر فقلت للسفير باللغة الفارسية : « إذا أردت أن تحرق قبور الذين يلقبونني أميراً فهذه فرصة سانحة لأن الضابط الذى تراه الآن واحد منهم »

ضحك السفير وقال لى برفق : « ما هذه الكلمات ياحاجى بابا ؟ لقد فات ما فات » فقلت : « ان هؤلاء القوم لا يفهمون أحوالنا وعاداتنا وهم يحسبون أننى عظيم مع أني كما تعلم ابن كربلائى حسن حلاق اصفهان »

قال السفير : « لقد قلت فات ما فات فلا تفكر في شيء مضي »

ثم دعينا إلى الوليمة فوجدت بها أصدقائى من أسرة هوج ، وأقبلت الأم ووراءها فتياتها وسلمن عليّ فقدمتهن للسفير وأنا أرجو همساً ألا يفضحني أمامهن ، فضحك السفير وقال باللغة الإنكليزية لزوجة المستر هوج : « إن سمو الأمير حاجى بابا قد امتدحكم كثيراً أمامى وهو رجل عظيم فى بلادنا وهو يحبكم حبًّا مفرطاً »

ولقد كان السفير يريد أن يضحك على ذقنها وذقنى بهذه الكلمات ؛ ولكنها اعتقدت صدق ما يقول واعتبرته جدًّا وأحنت رأسها أمامي عدة مرات ، ويظهر أنها فقدت قدرتها على الكلام فلم يمد فى وسعها إلا أن تكرر : « سعادتك ... ! سموه ... ! من حسن الحظ ... ! »

وفى وسط هذه الحالة لاحظت أن السفير بهر بجمال الفتيات خصوصاً بيسى ، فقال لزوجة المستر هوج : إن سمو الأمير حسن الذوق ! ما شاء الله ! إنكم فى نهاية الجمال وإن الفارسيين مولعون بالجمال

فقالت : « هذه رقة من سعادتك وإن بيسى جميلة ومارى محبة للخير » . فقال السفير : « بارك الله فيكم ! » . ثم رأى فتيات أخريات فقال لى بالفارسية : سأتركك لأصحابك وأذهب لأصحابى

ولقد شعرت فى هذا الحين بسعادة لم أشعر بمثلها من قبل لأن السفير أقرنى على أكذوبتى أمامهن . وهنأت نفسى بحسن السياسة التى اتبعتها لأنها جعلت موقفى الحرج من أحسن المواقف ، وأهديت بيسى برتقالة وتنهدت وجعلت طرف معطفى يلمس طرف فستانها ، وهذه عندنا فى فارس علامة على الحب ؛ ولكنى لا أعرف على أى شيء تدل عند الانكليز لأنى أجهل الحب الانكليزى ، وعزمت على أن أتلقى هذا النوع من الحب على أحد الشبان المجربين ، على ألا أخطو خطوة أخرى فى هذا السبيل قبل أن أدرس الطريق

ونظرت إلى السفير والفتيات والسيدات المحيطات به ، فوجدته أمهرمنى فى فن الحب الانكليزى لأن عينيه كانتا تتحدثان بما تفهمه الفتيات ، فتملو وجوههن حمرة الخجل . وما أشد وضاءة الوجوه التى تملوها هذه الحمرة ! لقد قلت فى نفسى إنه متى جاء اليوم الذى أتمكن فيه من إخجال حبيبتى بيسى فانى فى غده أصبح زوجاً لها . ولقد شاهدت الشبان الإنكليز يخجلون فتضيء وجوههم أيضاً فقلت : « من لى بأن أصبح مثلهم ! إننى

سأحلق ذقنى لأنه من المستحيلات أن يضىء الوجه وفيه هذه اللحية الملعونة ! »

جلسنا حول المائدة وتبسط السفير كل التبسط مع الفتيات وأهمل السيدات كل الإهمال ، وبدت منه ضروب مختلفة من الحب الانكليزى ، فمن ذلك أنه كان ينحنى ليلتقط الفقاز الذى يرميه عن عمد أمام إحدى الفتيات . ولقد تجاوز استياء السيدات حد الاحساس فتكلمن به

قالت إحداهن : « هذا تصرف عجيب ! »

وقالت أخرى : « هذا يعدل إلقاء المنديل عند الفارسيين »

وعلى أثر التحدث بهذه الكلمات قال لى أحد الضباط : « هل من علامات النزل عندكم أن يقذف الرجل بمنديله فى وجه فتاة ؟ »

فقلت : « هذا غير صحيح ، فاننا لا نستعمل المناديل كما تستعملونها أنتم ، بل لنمسح فيها أيدينا بعد الأكل ولنغلى فيها الأرز عند السفر »

فاعتذر لى الضابط من سؤاله ، ولكن دهشته زادت ، وشكرنى على هذه المعلومات وتحدث بها مع جاره

ولما قام السفير شعرت الفتاة التى كان يغازلها بأنها انتشلت من هاوية ، وقد كانت أمها تشعر فى أثناء المغازلة بأنها فى السماء السابعة

وعدت إلى دار السفارة وأنا أفكر فى الوسائل الجدية المؤدية إلى نجاحى فى الحب

الفصل الحادى والأربعون

عاجى بابا يتعلم فن الحب

لما استيقظت فى اليوم التالى وقفت أمام المرآة فرأيت شعرات بيضاء فقلت فى نفسي : « يستحيل أن أبقى هكذا فى حالة شك ، ولابد من اتباع طريق حاسم فى حبى فإن الشعر الأبيض قد ظهر ، وإذا تأخرت قليلاً استحال أن تقبلنى إحدى فتيات الكفار ولو كنت على بن أبى طالب . وتذكرت الحديث الذى دار للمرة الأولى بينى وبين الفتيات وأمهن فانبعث فى نفسى بريق من الأمل وقلت فى نفسى : متى أصبح فى جيبى المهر الكبير الذي ستدفعه بيسى أو إحدى أخواتها فانه لن يصير فى وسع رجل فارسى مهما كانت منزلته أن يعيرنى بأن أبى حلاق

ثم تناولت ديوان حافظ الشيرازى لأرى استخارة فيه أعرف منها بختى ، فوجدت بيتاً معناه : « اقتطف الوردة التى أعجبتك ، ولكن احذر أن تجرح الأشواك أصابعك » فقلت : « هذا فأل حسن وسأقتطف هذه الوردة . أما الشوك الذى يحذرنى منه فانى لا أخشاه ، لأنى كنت منذ نشأت معرضاً أصابعى له ، ومهما تكن المتاعب التى سأعانيها بسبب هذه الفتاة فانها لا تكاد تذكر بالقياس إلى ما عانيته من المتاعب فى مختلف الشئون

بقيت طريقة العرض وهى أصعب الطرق هنا ، لأننا نحن الفارسيين نرسل خاطبة عجوزاً تستطيع التأثير على الفتاة ، وإذا ردّت الخاطبة فان الشاب لا يتحمل خجلة الرد فى وجهه . وأخذت أسائل

نفسي هل أقدم لها الهدايا أم لم يحن بعد وقتها ؟ وهل أسأل المترجم عن عوائد هذه البلاد فى مسألة الزواج أم لا أسأله ؟ وقد استقر بي الرأي على ألا أخاطبه فى هـذا الشأن حتى لا يرتاب فى أنى أريد الفرار بمعض بنات جنسه

وبعـد تردد طويل قلت فى نفسى إن عوائد الزواج لابد أن تـكون مشتركة بين كافة الطبقات من جنس واحد ودين واحد . وبوابنا الانكليزى رجل بسيط ساذج ويمكننى أن أعرف منه ما أردت دون أن أستثير ظنونه . وكان هـذا البواب قد تزوج حديثاً واعتاد أعضاء السفارة أن يسخروا منه، ووجدت منه عطفاً ومودة بعد أن ضربنى السفير ، فذهبت إليه وسألته هل هو مسرور بعد زواجه . ثم أخذت أسأله عدة أسئلة فقص علىّ تاريخاً طويلا بعضه مفهوم والبعض غير مفهوم ، ولـكن النقطة التى أريد معرفتها جاءت واضحة فى جوابه

قال إنه طلب يد خطيبته فى يوم ممطر ، والقصة أنه زارها وخرج معها وأبويها ، فلما أمطرت الدنيا وقف هو وخطيبته تحت شرفة ووقف أبواها تحت شرفة أخرى، فاجترأ وقال لها إنه يحبها ويريد التزوج منها فوافقته فى الحال

قال : « وما كنت أتشجع على هذا الطلب لولا تلك الظروف » فقلت فى نفسى هذه أحسن طريقة للخطبة . وإن شاء الله ستتهيأ لى مثل هذه المصادفة وأكون ماشياً مع حبيبتى بيسى ويكون أبواها وراءنا فتمطر الدنيا وأقف تحت شرفة ثم أقول لها أريد أن أتزوج منك فتوافق

سررت جداً من هذه المعلومات وأدركت أن جميع الانكليز يتزوجون فى الشتاء تحت الشرفة

وفى يوم من الأيام أمطرت الدنيا فانتهزت هذه الفرصة وهرولت إلى منزل المستر هوج فاستقبلتنى على الباب زوجته وبناته الثلاث ، وفيهن حبيبتى بيسى . والغريب فى أمر الانكليز أن الشتاء لايعوقهم عن نزهتهم اليومية لأن الدنيا تكاد تشتو عندهم كل يوم . وقد رحبن بى وسررن من مجيئى على غير انتظار . ودعونى إلى مرافقتهن فى التنزه . وبعد قليل جاء المستر هوج فوضع ذراعه فى ذراع زوجته ووضعت ذراعى فى ذراع بيسى وسبقتهما . ومشت مارى وصغرى أخواتها وراء أبويهما، وكانت معى المظلة التى اشتريتها لهذا الغرض

سألت الأم : « إلى أين نذهب ؟ »

فقالت : « لسنا نريد الذهاب إلى مكان معين فامض حيث شئت ونحن نتبعك وهكذا عادة الانكليز إذا خرجوا للتنزه تسكعوا فى الطرقات لا إلى مكان معين !

فقلت لها: «هل نذهب إلى الـكنيسة ؟» فابتسمت وقالت : «إن الـكنائس لاتفتح إلا فى يوم الأحد» فاستغربت جداً وقلت : « إن المساجد عندنا تفتح كل يوم ليصلى فيها الانسان عندما يريد »

ثم مشيت واشتد المطر فوقفت مع بيسى تحت الشرفة وقلت فى نفسى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم هممت بأن أقول لها إنى أريد الزواج منها ولكن الأم أتت على غير انتظار وقالت : إن الوقوف هنا غير مناسب لأن تيار الهواء شديد فى هذه الجهة .

فتابعنا السير عائدين إلى المنزل

وفى هـذه الأثناء وقفنا تحت شرفة أخرى ووقف الأبوان وبنتاهما بالقرب منا تحت شرفة أيضاً واستمعنا وسميت وقلت لها : « يا بيناى الجميلة، أريد أن أتزوج منك» فقالت بحدة : « ماذا ؟» ثم امتقع لونها وسحبت يدها برفق من يدى ولم تقل كلمة أخرى

وتقدمت نحو أمها فشيت إلى جنبهما وأنا فى نهاية الخزى وقد سمعتهما تتكلمان ولكن رأسى كانت مصابة بالدوار، فلم أفهم مادار بينهما من الحديث

وقد كان سيرنا فى المرحلة الباقية من الطريق سريعاً جداً. ولما وصلنا إلى الباب لم أنتظر أن يدعونى أحد للدخول بل استأذنت وأسرعت إلى دار السفارة وأنا أعزى نفسى عن حبيبتى بيسى بقولى إنها ليست إلا امرأة كسائر النساء

الفصل الثانى والأربعون

شركاء حاجى بابا

بسبب جهلى عوائد الفرنجستان لم أستطع الوثوق بما كنت أرجوه من التزوج بالفتاة، فلم أفش ذلك السر ولم آمل ولم أيأس وإنما استسلمت للتفكير. وفى اليوم التالى لتلك النزهة طلبنى السفير فذهبت إليه ونفسى تحدثنى بالشر فقال عند ما رآنى : « تعال هنا يا رجل ! ألا تريد أن تترك الناس وشأنهم ؟ لقد أسأت إلى سمعتنا فى هذه المدينة »

قلت : معاذالله ! لماذا ؟ فقال: « نعم لقد أسأت إلى سمعتنا فأنت لم تكتف بادعائك أنك أمير بل حدثتك نفسك بأن تتزوج من كل فتاة تصادفها فى الطريق ولو كانت نصرانية ، فقل لى كيف ذلك ؟

قلت : «إننا الآن فى دولة كل شئونها غريب ، فمن الذى يتهمنى بأنى أريد أن أتزوج؟ ومن أنا حتى

سندباد عصرى

فى سفينة مصرية

رددت أخبارها صحف العالمين

الإنسانية فى شتى مظاهرها تطالعك من صفحات

سندباد عصرى

بقلم

حسين فوزى

١٢ قرشاً أطلبه اليوم من المكاتب ١٢ قرشاً

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثمن ١٢ قرشاً

أهم بالزواج فى هذه البلاد ؟ لقد رأيت في بلادى من الزوجات والأصهار ما فيه الكفاية ولن أجرب حظى مرة أخرى » فقال لى السفير : « ألا تخجل من الكذب أيها الرجل ؟ لقد جاءنى اليوم رجل يسأل عنك وقال لى إنك تخطب ابنته »

قلت : « بالله يا سعادة السفير من هو هذا الرجل وماذا قال ؟ » فأجابنى السفير : « لقد سألنى هل أنت من أسرة طيبة ؟ وهل أنت أمير ؟ وهل لقبك وراثى ؟ وهل لك ممتلكات وما هو إيرادك ؟ »

قلت : « وبالله ما ذا كان جوابك ؟ »

فقال : « بما ذا أجيبه ؟ لقد قلت له إنك لست أميراً وإنك ابن حلاق وإن كل ما ورثته عنه هو موسى وفرشاة. ماذا كنت تريد أن أقول غير ذلك؟»

قلت : « وهل هذا الرجل طويل أو قصير ، وسمين أم نحيل ؟ » فقال : « هو رجل سمين جداً هرم اسمه المستر هوج »

فوقفت أمامه مبهوتاً كأننى صنم وغضبت على نفسى وعلى العالم بأسره

قال السفير : « ما هذه الفضيحة التى جلبتها على نفسك يا حاجى بابا ؟ لقد أردت أن تعظم من قدر نفسك فما ازددت إلا حقارة . قل لى ما الذى فعلت ؟ ما الذى حدث ؟ » . فقلت : « والله بالله لم يحدث شىء يستحق الذكر ولقد فات ما فات »

قال السفير بلهجة بين الجد والسخرية : «تكلم يا حاجى بابا ! تكلم ! ماذا أصابك وأنت غريب فى هذه البلاد ؟ . أخبرنى ماذا قلت عن نفسك ولماذا ادعيت أنك أمير؟» . قلت: «لقد أقسمت أننى لم أدع الإمارة ، ويظهر أن أهل هذه البلاد يصفون كل إنسان بأنه أمير »

غضب السفير وقال : « هل تجيبنى بالحق أم أستجوبك رسمياً . إننى أقسم بذقن الشاه إذا لم تخبرنى بالحقيقة فانى أربطك بالحبال وأتركك مقيداً حتى تعترف »

فقلت : « إن قصتى بسيطة وهى أننى رأيت بنت هذا الرجل ، وإذا أذنت بأن أكون صريحاً فإني أعترف بأنى أحببتها وطلبت إليها أن تتزوج منى ؟ وأقسم بالخبز والملح الذى أكلته عند الشاه، وبالأئمة الاثني عشر أن هذه هى الحقيقة »

وفى هذا الحين دخل محمد بك فأعاد السفير أمامه هذه القصة وأشركه فى السخرية منى والاستهزاء بى فقال محمد بك : « لقد أخطأت يا حاجى بابا وأصاب السفير فى قوله إنك أسأت إلى سمعتنا فى هذه البلاد ونحن لسنا فى فارس حتى تستطيع الزواج من نصرانية ثم تدعوها إلى دين الاسلام »

فقلت وما يدريك أنها لا تسلم ؟ إن الحب يأتى بالعجائب والغرائب »

قال السفير : « ما هذه الكلمات التى تلقيها جزافاً ياحاجى بابا ؟ ألا تعلم أن مئات الآلاف من أهل هذه البلاد يشتغلون بالتبشير ليحولوا أهل بلادنا إلى المسيحية وفيهم من يؤلف كتب التبشير ومن يترجمها إلى لغتنا ومن يطبعها ومن يوزعها ومن يذهب إلى أقاصى الأرض ليبث تعاليمها، فهل تحسب فتاة من هذا الجنس تغير دينها من أجل سواد عينك ؟ »

قال محمد بك : « وهب أنها أسلمت فكيف تثق

بأنها غيرت اعتقادها ؟ » فقلت : « انني أحنى يديها وقدميها وألبسها ملاءة وأضع على وجهها برقعاً فتصير مسلمة »

قال محمد بك : ليعف الله عنا ! يظهر أن حاجى بابا أصيب بالجنون

وقال السفير : « لقد خدعك الشيطان ياحاجى بابا ألم يكف ما وجدته من حب زينب وشكر ليب؟ »

وقال محمد بك : « صدقني ياحاجي بابا : لو نجحت هذه الأمنية فانك تشقى بها طول عمرك . أليس فى فارس فتيات يصلحن للزواج ؟ »

قلت : « نعم ولكن ليس عندهن من المال مثل الذى عند الفتيات فى هذه البلاد » فصاح السفير : « المال ! هل عند خطيبتك مال ! »

قلت : « نعم » فسألنى الرجلان فى وقت واحد عن مقداره

قلت : « مائة ألف جنيه » فقال السفير : « والله والله ان هذه صفقة رابحة ياحاجى بابا . فى أى شارع تقيم وما رقم منزلها ؟ »

وقال محمد بك وهو ينتهد : « وهل فى البلاد فتيات كثيرات يملكن مثل هذا القدر من المال ؟ » فقلت : « إن الجزء الأعظم من فتيات الفرنجستان يملك الأموال الطائلة لأن الآباء هنا يعنون بالبنات مثل عنايتهم بالبنين »

عاد محمد بك إلى تنهده وقال : إن المال أنفس شىء فى الحياة. فقال له السفير : « أهكذا أيها المفلس الخاسر تغير رأيك على عجل لأنك سمعت ذكر النقود؟ هل النقود تجعل النصرانية فى حكم بنات الاسلام »

فقال محمد بك : « ولماذا تصير فى حكم بنات الاسلام ؟ إن الزواج من النصرانية وهى على دينها جائز فى الشرع الاسلامى ، وقد تزوج النبي عليه الصلاة والسلام من مارية القبطية »

قال السفير : « مرحى لك يا محمد بك ! أنت أكبر العلماء والمفتين . إننى أظنك فى غد ستكحل عينيك وتزجج حاجبيك لتوقع فى شراكك الفتيات النصرانيات . اطمئن ياحاجى بابا فاذا جاء صهرك مرة أخرى فسأخبره بأنك ابن وزير كبير أصبح الآن فى جهنم بحمد الله . فاعرف لى من أين طريق المال ونقتسم ، فلك العروس وأنا أكتفى بالمال »

قال ذلك ثم طردنى من حضرته

الفصل الثالث والأربعون

رسيسة المترجم

لما خرجت من عند السفير وجدت فى انتظارى بغرفتى ذلك الضابط الشاب الذى رأيته فى مصنع (ولوش) والذى يمت بصلة القرابة لأسرة هوج فصافحته، وبعد أن سألته عن صحته وسألنى عن الجو قال إنه آت من قبل المستر هوج وزوجته ليتحدث معى فى أمر الزواج الذى طلبته وأكد لى أن الأسرة شاكرة لى تشريفها بهذه العناية . فسررت من كلامه كل السرور وقلت له : « متى كانت الحقيقة كذلك فان بقية الأمر تصبح فى نهاية السهولة

ثم تكلم عن اختلاف الجنس والدين وأشار إلى أنه لا بد من إتمام الطقوس فى الكنيسة فلم أبد على ذلك أقل اعتراض ، ولكنى سألته : ما هى هذه

الطقوس ففهمت أنهم ينادون عليّ فى الكنيسة كما ننادى نحن فى فارس على الخيل التى تباع بالمزاد، ثم أحصل على شهادة خاصة من بعض الأطباء ثم اذهب إلى الكنيسة مع قريبته فأضع فى أصبعها خاتماً من الذهب وإذا تم ذلك لم يبق إلا أن نبتعد عن وجوه الناس مدة شهر كامل ثم نعود زوجين

بعد أن سمعت ذلك حاولت إقناعه بأن الزواج وفق عوائدنا أسهل ، وأكدت له أننى لا أريد أن يعقد الزواج فى مسجد لأن ذلك ليس من عوائدنا بل يتقابل وكيلى ووكيلها مع الشهود فى أى مكان ومتى تم الاتفاق بين الوكيلين يأتى أصحاب الزوج به راكباً جواداً . وقلت له إننى أعدل الشطر الأخير فتأتى العروس راكبة عربة

فلم يظهر على الشاب الرضى عن هذا الاقتراح وقال لى إن أبا الفتاة سيهديها مبلغاً كبيراً من المال وأنه يريد أن يعرف ممتلكاتى وإيرادى . وعند هذا السؤال تذكرت أننى لما تزوجت للمرة الأولى فى فارس من شكرليب كذبت على أهل زوجتى فقلت لهم : إنى أملك كيت وكيت مما لست أملك فى الواقع شيئاً منه . ورأيت نتائج الكذب فى هذا الموضوع سيئة العواقب جداً . ولذلك صممت على عدم التسرع الآن بما قد يكون سيئ النتائج فى الغد

وبالرغم من شدة رغبتى فى هذه الزيجة فقد قلت إنه لا بد من التفكير بصفة جدية فيما أجيب به . وقلت : « إننى راغب فى هذه المصاهرة أشد الرغبة ولكن الأمر جدي ولا بد فيه من التروى والتفكير فأشار بأنه لا بد من اعتناق للدين المسيحى، فأريته أنى فهمت الاشارة وأنى لا أعارض فى ذلك ولكنى أطلب مهلة للتفكير

قام لينصرف ولكنه عاد للكلام وكأنه ذكر شيئاً هاماً وقال : « أنت تعرف أن الأب يريد الاطمئنان على مستقبل بنته . ولذلك كان من حقه أن يتحرى بكل وسيلة . وقد أرسل إلى رجل يعرفك فجاءه هذا الخطاب وأنا أطلعك عليه وأرجو إن كانت عندك ملاحظة عليه أن تبديها وسننظر فى ردك نظرة اعتبار وتقدير . وهذا هو الخطاب »

فأخذته منه ولما كانت فيه كلمات كثيرة لا أعرف معناها فقد نسخته لأتفهمه مع البواب الانكليزى فيما بعد . وهذه صورة الخطاب :

إلى المستر الكسندر هوج :

تشرفت بتسلم خطابك الذى تسألنى فيه عما إذا كنت أعرف البرنس حاجى بابا ، وعما إذا كنت أستطيع إخبارك عن إيراده وعما يملكه وعما إذا كانت معلوماتى عن أخلاق الفارسيين وعوائدهم تكفى لتشجيعك على تزويج كريمتك من رجل فارسي

وإنى أشكر لك حسن ظنك . أما عن السؤال الأول فإن حاجى بابا ليس أميراً ولكنه ابن حلاق فى أصفهان . وأما عن السؤال الثانى فانه لا يملك شيئاً غير الثياب التى على جسمه . وأما عن السؤال الثالث فلا أرى لك أن تزوج كريمتك من رجل فارسى، وقد أكون مخطئاً ، ولكنك على كل حال تسألنى عن رأيى . فالمرأة فى فارس ليس لها أى حق معترف به [1] ولا تسلم فى يوم من الأيام من

(١) ليذكر القارئ أن هذه الرواية كتبت منذ مائة عام

آلام الغيرة والغضب والانتقام التي يصب الزوج جامها على رأسها. وإن الخلق الأساسي في بلاد الشرق إنما هو الاستبداد. ويمتاز حاجي بابا نفسه عن أكثر جنسه بسعة الصدر ودماثة الخلق وسرعة الفهم ولكنه فقير مسرف. والفقر أساس كل رذيلة إن كان مصحوباً بالاسراف. وإن كثيراً من الرذائل التي تقدم ذكرها موجود هنا بين بعض الانكليز كما هو موجود في فارس، ولكن الأمر نسبي

ومع ذلك فقد أعربت عن رأيي والرأي لك

مترجم السفارة الفارسية

وبعد أن نسخت صورة الخطاب دفعته إليه فاستأذن وانصرف. وذهبت إلى البواب الانكليزي فقرأت معه الخطاب وأفهمني معناه حرفاً فحرفاً فغضبت وكتبت هذا الخطاب باللغة الانكليزية إلى المستر هوج:

صديقي العزيز

أقسم بشرفي أن مترجم السفارة رجل سيء. لماذا يكتب خطابا كله أكاذيب؟ لقد قال إني ابن حلاق ولقد كنت كذلك في وقت من الأوقات ولكنني الآن ميرزا ... لماذا يكذب إذن؟ يقول إنني لا أملك غير ثيابي ... ما شاء الله! إن الشاه غني وأنا من أتباع الشاه وهذا يكفي ... ما الذي يريده المترجم غير ذلك؟ لقد كذب على الفارسيين وشتم نساءهم فأين رأى امرأة فارسية حتى يحكم عليها؟ إن نساءنا محتجبات وهو يشتم كل الرجال الفارسيين ولكن هذه أكذوبة أخرى

سلامي إليك وإلى أهل منزلك

حاجي بابا

وبعد أن أرسلت هذا الخطاب إلى المستر هوج شعرت براحة الضمير وعزمت على إقناع السفير بأنه إن كانت سمعة الفارسيين قد ساءت في هذه البلاد الأجنبية فإن ذلك ليس نتيجة لغلطتي بل هو نتيجة لتشهير المترجم

وقد اقتنع السفير بذلك فيما بعد وعاتب المترجم ولكن هذا اللعين كان في كل يوم يختلق عذراً جديداً عن كتابة هذا الخطاب

(يتبع) عبد اللطيف النشار

إشتراك الصيف

تقبل ادارة الرسالة والرواية الاشتراك الشهري في المجلتين أو في احداهما نصف شهر على حضرات القراء في زمن الصيف ومقدار الاشتراك في الرسالة أربعة قروش وفي الرواية قرشان ترفع سلفاً

العدد الممتاز

أعدنا طبع العدد ٢٤٦ وهو العدد الهجري الممتاز فمن أراد اقتناءه فليطلبه من إدارة الرسالة بالسعر العادي وهو عشرة مليمات غير أجرة البريد

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدي رقم ٧ ﴾